عبدالقادر بن عمر البغدادي و منهجه في تحقيق النصوص
في كتابه خزانة الأدب

د.محمد ضياء الدين خليل إبراهيم
كلية الإمام الأعظم الجامعة
قسم اللغة العربية
العراق ـ بغداد

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله ربِّ العالمين، وأشرف الصلاة وأتم التسليم على سيد الأولين والآخرين ،سيدنا ومولانا محمد المصطفى الأمين وعلى آله وصحبه أجمعين . أمَّا بعد:

فقد عني المتقدمون من علماء العربية الأوائل بالتحقيق والتدقيق، وعرفوا بالضبط والإفادة ،حتى تهيأ لهم منهج قويم، قائم على أسس متينة، بل إنَّه يعد أدق منهج يحتذيه قلة من المحققين المعاصرين .

ولعلَّ عناية المتقدمين بكلام الله العزيز ،وقراءاته، والعمل على ضبطه، ثم عنايتهم بالحديث الشريف وأسانيده، ورواته كل ذلك دفعهم إلى أن يأخذوا أنفسهم بالصعب من المسالك ،فيضبطوا ،ويجيدوا في علومهم المختلفة من منظوم ومنثور.

فتحقيق النصوص ليس من مبتدعات عصرنا الذي أخذ فيه المحققون بالمنهج العلمي ،وليس من مبتدعات المستشرقين على إبداعهم و إجادتهم في نشر ذخائر التراث العلمي العربي كما يظنُّ بعضهم.

لكن الحقيقة بخلاف ذلك، فقد قام فن تحقيق النصوص عند العرب مع فجر التاريخ الإسلامي ،وكان لعلماء الحديث اليد الطولى في إرساء قواعد هذا الفن في تراثنا العربي، وتأثر بمنهجهم هذا أصحاب العلوم المختلفة .

فقد بدأ علماء المسلمين بهذا المنهج العلمي ،وأخذوا أنفسهم بكل صرامة في سبيل الوصول إلى الحقيقة ،وليس أدل على هذا من الخدمة الصادقة ،التي أولوها للحديث النبوي الشريف ،فانتهت تلك العناية بتوصيلهم إلى علوم الحديث.

فالقواعد التي وضعها الأئمة منذ قرون عديدة للتوصل إلى صحة الأحاديث النبوية الشريفة ،تتفق في جوهرها واتجاهها و الأنظمة التي أكتشفها علماء أوربا فيما بعد في بناء المخطوطات ومعالجاتها.

فهذه القواعد السديدة التي وضعها المحَدِّثون للتوثق من صحة الحديث النبوي ،ودقة رواية مصنفاته، وإخراجها على خير وجه علمي، طبقها أسلافنا من العلماء بالعربية والشعر القديم تطبيقاً واسعاً حتى ينفوا عنها الزيف والنحول .

وإنَّ كثيرا مما نقوم به اليوم من خطوات في فن تحقيق النصوص ونشرها ،بدءاً من جمع المخطوطات والمقابلة بينها ،ومروراً بضبط عباراتها وتخريج نصوصها ,وانتهاءً بفهرسة محتوياتها، لَمِمَّا سبقنا به أسلافنا العظام من علماء العربية الخالدة.

ويعد عبد القادر بن عمر البغدادي ت(1089)هـ، صاحب كتاب خزانة الأدب وغيرها من المصنفات مثالاً طيباً للعالم الواسع الاطلاع على المكتبة العربية بفروعها المختلفة .

وهو في تحقيق النصوص لا يبارى ولاسيَّما في كتبه الخزانة ،فهو يقابل بين النسخ ،ويجتهد في تخريج النصوص ،ويترجم للعلماء والشعراء ترجمة وافية، ويكمل أبيات الشعر ويخرجها ،وينسب الأبيات المجهولة ،ويشير إلى اختلاف الروايات في البيت الواحد ،وغير ذلك مِمَّا ينادي به علماء التحقيق في العصر الحديث ،وغير ذلك مِمَّا يفوق الحصر والعدَّ والتمثيل مِمَّا يتضح لطالب علم الخزانة ،جوانب متعددة توضح مدى اهتمام البغدادي بتحرير القضايا المدروسة، و المسائل المناقشة، والآراء والأقوال المعروضة، والتوثيق والتحقيق في كل ذلك غاية التوثيق والتحقيق.

إنَّ هذا الخلق العلمي الذي تميز به عبد القادر البغدادي وعرف به ليستحق الإشادة والوقوف عندها ودراستها دراسة علمية تظهر المنهج الذي سلكه واعتمد عليه في تحقيق للنصوص التي نقلها وأوعها في خزانته التي تعد أعلى موسوعة في علوم العربية وآدابها، وليس هذا مبالغة فقد شحنه بالنصوص النادرة وحفظ لنا به بقايا من كتب قد فقدت أو اندثرت مع تمام العناية بالنقد والتحقيق لكل ما يورده من ذلك .فأردنا أن نقف عند منهجه في تحقيق النصوص في ضوء كتبه الخزانة ،فنحلل قواعد هذا المنهج ،ونشرح أسسه، ونظهر مرتكزاته، ونبين الجديد فيه، ولأجل الوصول إلى هذا الهدف قسم البحث على ثلاثة مباحث رئيسة هي:

((التعريف بالبغدادي))،وقد تضمن اسمه ونسبه، مولده : **المبحث الأول** :وقد جاء بعنوان ونشأته، ورحلاته، وشيوخه، وتلامذته، وعلمه وفضله، ومؤلفاته، ووفاته.

والمبحث الثاني :وقد جاء بعنوان :((التعريف بكتابه خزانة الأدب))،وقد تناولنا فيه التعريف بالكتاب، وموضوعه، ودوافع تأليفه، و المعارف التي اشتمل عليها.

والمبحث الثالث :وقد جاء بعنوان:((منهجه في تحقيق النصوص في ضوء الخزانة))،وقد تناولنا فيه بيان منهج عبدالقادر البغدادي في تحقيق النصوص من المقابلة بين النسخ، والاجتهاد في تخريج النصوص ،وصنع التراجم ،و تكميل الأبيات الشعرية وتخريجها، ونسبة الأبيات المجهولة ...الخ.

ونرجو أن تكون هذه الدراسة قد اعطت الموضوع حقّه وأن يفيد منه الباحثون مثلما أفاد البحث عن غيره.

المبحث الأول

((التعريف بالبغدادي))

أولاً: اسمه ونسبه: هو عبد القادر بن عمر [1]بن يزيد بن الحاج أحمد البغدادي [2].

ثانياً: مولده ونشأته :

[1] ينظر: خلاصة الأثر 451/2، والأعلام 41/4.

[2] ينظر: مقدمة تحقيق خزانة الأدب 3/1.

ولد عبد القادر بن عمر بن بايزيد بن الحاج أحمد البغدادي في مدينة بغداد سنة(1030هـ) [1]،وكانت بغداد – آنذاك – موضع نزاع الصفويين ورئيسهم الشاه عباس الصفوي, والعثمانيين وعلى رأسهم السلطان مراد الرابع, وفي ذلك الوقت كانت العاصمة الإسلامية كالكرة يتقاذفها كل من الصفويين والعثمانيين، وعانتْ كثيراً من الصراع الدائر بين الدولتين حتى تمكن السلطان مراد الرابع من انتزاعها – تماماً – من قبضة الصفويين وكان ذلك سنة (1048هـ) .

وفي تلك الظروف الحرجة لم يفت عبد القادر أن يشتغل بالعلم واللغات وأن يفيد من لغة الفرس والترك إلى جانب إفادته من العربية وقد ساعده في ذلك تزاحم القوميتين الفارسية والتركية على تلك الغادة العربية، فشقَّ لنفسه – هناك – ميداناً فسيحاً شدا فيه من آداب تلك اللغات جميعاً [2].

ثالثاً :رحلاته :

أحاطت بعبد القادر ظروف وملابسات منذ نشأته أول أمره في بغداد, تلك النشأة التي لم تستطع المراجع إفادتنا بشيء عنها, غير أنَّه نشأ وترعرع في بغداد, وشقَّ لنفسه طريقاً يتعلم فيها, وأنَّ علمه لم يقتصر على لغة معينة, فما خرج من بغداد إلَّا وهو متقن لثلاث لغات: العربية ,والفارسية ,والتركية [3]،ولعلَّ حرص البغدادي على التعلم ورغبته في الأخذ عن مشايخ البلدان كانا الدافع له إلى التنقل والترحال فضلاً عن الأسباب السياسة المحيطة به، وسنلقي الضوء على رحلات البغدادي وما حصل له في بعضها من الأحوال:

1ـ رحلته الأولى الى دمشق :

لَمَّا كانت رحى الحرب دائرة في بغداد – قبل استيلاء الجيش العثماني عليها وتحريرها تماماً – آثر الفتى عبد القادر أن يرحل إلى بلدٍ هادئ ترفرف السكينة في آفاقه فيشبع ميوله العلمية, بعيداً عن القلاقل والفتن، فكان ذلك البلد دمشق التي كان فيها جزء مهم من طلب البغدادي وتحصيله .

ولَمَّا نزل دمشق اتصل بنقيب أشرافها السيد محمد ابن السيد كمال الدين الحسيني كبير آل حمزة ,فعطف عليه وأكرمه وبوَّأه منزلاً في المسجد الواقع قبالة داره في الحي المعروف بزقاق النقيب، وكان خروج عبد القادر من مسقط رأسه بغداد سنة (1048هـ) [4] .

2ـ رحلته إلى مصر :

كانت ثاني رحلات البغدادي إلى مصر وكانت سنة (1050هـ),أي: أنَّه كان في العشرين من عمره، وهناك توسعتْ مداركه وتفتحتْ أكمام معرفته, إذ تلقى العلوم الشرعية وآلاتها النقلية والعقلية عن جمع

---

[1] ينظر: هدية العارفين 602/1, خلاصة الأثر للمحبي 451/2 , معجم المؤلفين 295/5, الأعلام 41/4 , مجلة الزهراء مجلد (5) ص209 .

[2] ينظر: خلاصة الأثر 451/2 , الأعلام 41/4, معجم المؤلفين 295/5 , ومجلة الزهراء 210/5.

[3] ينظر : خلاصة الأثر 451/2 , مجلة الزهراء 210/5.

[4] مجلة الزهراء : 210/5.

من مشايخ الأزهر، وقد قضى البغدادي في مصر أنضج سنيِّ حياته وأخصبها إذ كانت سنيَّ الوعي الكامل والنشاط العلمي[1] .

3ـ رحلته الأولى إلى بلاد الروم :

أقام البغدادي بمصر من سنة (1050هـ) إلى (18) من ذي القعدة سنة (1077هـ)،أي: من سنِّ العشرين إلى سنِّ السابعة والأربعين .

ثم خطر بباله أن يسافر إلى القسطنطينية ,العاصمة العثمانية ,وكانت هذه رحلته الأولى إليها، وكان إذ ذاك قد وصل من تأليفه الخزانة إلى شرح الشاهد(669) من شواهد الرضي, كما ذكر ذلك في خاتمة الخزانة[2].

ويظهر أنَّه لم تطب له الإقامة في تلك الرحلة فقد عاد إلى مصر في اليوم السابع من ربيع الأول سنة(1078هـ)،أي: أنَّه قضى في تلك الرحلة نحو أربعة أشهر[3].

4ـ عودته إلى مصر :

وبعد رجوع البغدادي إلى مصر اتصل بواليها من قبل الدولة العثمانية وهو إبراهيم باشا الذي تولى مصر سنة(1078هـ)فاتخذه الوالي سميراً له ووقع عنده الموقع التام، وما برح كذلك إلى السنة التي عزل فيها إبراهيم باشا عن ولاية مصر,وهي سنة(1085هـ)[4].

5ـ رحلته الثانية إلى بلاد الروم :

كانت صلة البغدادي بإبراهيم باشا موثقة الأسباب، وقد دامتْ تلك الصلة في مصر نحو سبع سنوات، ولَمَّا عزل إبراهيم باشا وأراد الرحيل إلى بلاد الروم اصطحب عبد القادر البغدادي في رحلته، فسافرا معاً بطريق بلاد الشام, فتسنَّى لعبد القادر أن يدخل الشام مرة ثانية بعد انقضاء 35 عاماً من دخوله الأول[5].

رابعاً: صلة البغدادي بالوزير الكوبريلي والسلطان العثماني :

قُدِّرَ للبغدادي – في ديار الروم – أن يتصل بالوزير أحمد باشا الكوبريلي الرجل السياسي الفاضل، وكان من كبار أهل العلم ومن المشتغلين به أيام الشباب, ثم انتقل من ذلك إلى المناصب الدينية، فلَمَّا عرف فضل البغدادي أحلَّه مكاناً

رفيعاً وجعله من خاصته، وباسم هذا الوزير توّج عبد القادر حاشيته العظيمة على شرح بانت سعاد لابن هشام[6] .

---

[1] مجلة الزهراء : 213/5.

[2] خزانة الأدب 469/11.

[3] مجلة الزهراء: 213/5.

[4] خلاصة الأثر 453/2 , مجلة الزهراء 213/5.

[5] خلاصة الأثر 453/2 , مجلة الزهراء 213/5.

[6] ينظر : حاشية البغدادي على شرح بانت سعاد لابن هشام , المقدمة : (21) وما بعدها ط 1400هـ بيروت .

ووصل خبر البغدادي إلى السلطان محمد بن السطان إبراهيم فنال تقديره وتوقيره, فتوج عبد القادر باسمه خزانته الأدبية كما ذكر في خطبتها [1]. ويذكر أنَّ البغدادي كان مقيماً تلك المدة في أدرنة, يقول المحبي:((ولَمَّا حللت أدرنة في ذلك العهد زرته مرة في معهده, وكان بينه وبين والدي حقوق ومودة قديمة فرحب بي وأقبل علي، وكان إذ ذاك في غاية من إقبال الكبراء عليه)) [2].

خامساً: شيوخه:

كان أول شيخ للبغدادي في دمشق، وهو محمد بن كمال الدين بن محمد بن حسين بن حمزة الحنفي, الملقب بالنقيب، وهو رئيس وقته في العلم والجاه، وكان عالماً محققاً وحبراً مدققاً, وكان إلى جانب ذلك شاعراً فاضلاً، أخذ عنه جماعة منهم الإمام محمد بن سليمان المغربي, والشيخ رمضان بن موسى بن عطيف, وابن العماد الحنبلي وغيرهم، صنَّف كتباً قيمة منها :حاشية على((شرح الخلاصة لابن الناظم))في النحو, ورسائل في الفقه, و((البيان والتعريف في أسباب ورود الحديث))،وكان مولده 1024هـ وتوفي 1085هـ [3].

وبعده الإمام محمد بن يحيى الفرضي, نجم الدين, الذي كان لا يجارى في العربية في زمنه، وكان له فضل في الحديث والفقه، أمَّا الفرائض فعلمه فيها أكثر، وهو شيخ المحبي صاحب((خلاصة الاثر))،ولد سنة (1090هـ)،أي: قبل وفاة تلميذه البغدادي بثلاث سنين[4].

وقد جلس البغدادي في حلقة شيخه هذا ,ودرس عليه دراسة واسعة في علوم العربية ,وذلك بعد أخذه عن النقيب محمد بن كمال الدين ،وهذان هما اللذان تتلمذ البغدادي عليهما في دمشق [5].

ولَمَّا رحل إلى مصر عقد صلته بأكبر مشايخه شهاب الدين الخفاجي المصري, أحمد بن محمد بن عمر، صاحب التصانيف في الأدب واللغة ونسبته إلى قبيلة خفاجة، وهو من مواليد (997هـ)،وقد نشأ بها ثم رحل إلى بلاد الروم واتصل بالسلطان مراد العثماني، وهو صاحب" ريحانة الألبّاء وزهرة الحياة الدنيا" وله كذلك "شفاء العليل فيما في كلام العرب من الدخيل" وحاشية على "تفسير البيضاوي" ،وتوفي بمصر سنة (1069هـ) [6] .

كما جلس البغدادي إلى آخرين من علماء الجامع الأزهر وفطاحله, منهم الشيخ يس بن زين الدين بن أبي بكر العليمي الحمصي، وهو عالم بالعربية والمعاني، وقد تصدر للإقراء في الأزهر، وهو صاحب الحاشية على "التصريح بمضمون التوضيح لخالد الأزهري" وله حاشية على" شرح القطر للفاكهي" وحاشية على "شرح ألفية ابن مالك" وتوفي سنة (1061هـ) [7].

---

[1] ينظر : خزانة الأدب 4/1.

[2] خلاصة الاثر 453/2.

[3] ينظر : خلاصة الاثر 4/ 124, والأعلام7/ 15, معجم المؤلفين 11/ 163 .

[4] خلاصة الاثر 4/ 265, معجم المؤلفين 100/12, مجلة الزهراء210/5 .

[5] ينظر : خلاصة الأثر452/2.

[6] خلاصة الأثر1/ 331 , معجم المؤلفين 138/2, الأعلام 1/ 238 .

[7] خلاصة الأثر 491/4 , معجم المؤلفين 13/ 177 .

ومنهم الشيخ البرهان إبراهيم بن محمد بن عيس المصري ,المأموني، وقد كان آية ظاهرة في علوم التفسير والعربية ,واشتهر بعلمي المعاني والبيان حتى قلَّ من يناظره فيهما .

ومن مشايخ البغدادي النور الشبراملسي ,وهو علي بن علي ,أبو الضياء فقيه شافعي مصري,كفَّ بصره في طفولته ,وهو من أهل شبراملس بالغربية بمصر، وتعلم وعلَّم بالأزهر، وصنف كتباً منها :" حاشية على المواهب اللدنية " وحاشية على " الشمائل " وحاشية على "نهاية المحتاج " وتوفي سنة(1087هـ) [1]. هؤلاء هم مشايخ البغدادي، وأكثرهم من علماء الأزهر، وكلهم أخذ عنهم عبد القادر

سادساً :تلاميذه:

لم نعثر في الكتب التي تحدثت عن البغدادي على ذكر تلاميذه له, أو أنَّه جلس للتدريس أو نحو ذلك، وخير من ترجم لعبد القادر كاتب المقالة في مجلة الزهراء "عبد القادر البغدادي مؤلف خزانة الأدب الكبرى" [2].

ولم يذكر هذا الكاتب شيئاً عن تدريس البغدادي أو أنَّ أحداً تتلمذ عليه، ولعلَّ ظروفاً معينة حالت بين عبد القادر والجلوس للتدريس, فقد عاش ثلاثاً وستين سنة حافلة بالطلب والتحصيل, والتأليف, فحفظ مقامات الحريري في صدر شبابه وطائفة من دواوين العرب على اختلاف طبقاتهم فأكسبه كل ذلك ملكة في نقد النصوص الأدبية ومقارنتها, حتى أنَّ شيخه الخفاجي مع غزارة علمه كان يقدره ويشهد له بالفضل, ويراجعه في المسائل لمعرفته مظانّها وسعة اطلاعه وطول باعه, وكان يعتمد عليه في نقل الغريب من اللغة, نقول: لم يكن البغدادي بأقل علماً من غيره مِمَّن تصدروا للتدريس وجلسوا في الأساطين يعلمون الناس، فلا بُدَّ أن يكون هناك سبب في أنَّ التاريخ لم يسجل تدريس عبد القادر البغدادي، والذي نملك أن نقوله هنا هو أنَّ الرجل الذي صنف "خزانة الأدب ولبّ لباب لسان العرب" وغيره من كتب الأدب قد ضمن لنفسه أن يتتلمذ على مؤلفاته الكبيرة كل من جاء بعده وأتيح له قراءتها والوقوف على كنوزها التي يندر أن تجيل فيها نظرك دون أن تظفر منها بفائدة [3].

سابعاً: علمه وفضله :

اتجه البغدادي اتجاهاً أدبياً, فعني من أول الأمر بحفظ كثير من الأشعار الجاهلية والإسلامية [4], حتى استطاع أن يتمكن من ناصية الأدب وأن يبرع فيه، يقول المحبي :((عبد القادر بن عمر البغدادي نزيل القاهرة ,الأديب الرحال ,الباهر الطريقة في الإحاطة بالمعارف والضليع من الذخائر العلمية، وكان فاضلاً بارعاً مطلعاً على أقسام كلام العرب النظم والنثر, لوقائعها وحروبها وأيامها ،وهو أحسن المتأخرين معرفة باللغة والأشعار والحكايات البديعة, مع التثبت في النقل وزيادة الفضل, والانتقاد الحسن)) [5] .

---

[1] ينظر : خلاصة الأثر174/3, والأعلام 314/4 .

[2] ينظر : مجلة الزهراء 209/5.

[3] ينظر: البغدادي حياته ودراساته النحوية في خزانة الأدب/35ـ 36.

[4] خلاصة الاثر : 451/2 , مجلة الزهراء 211/5 .

[5] خلاصة الأثر 2/ 451 .

ويدل على ذكاء عبد القادر وفطنته أنَّه حفظ اللغة الفارسية والتركية في سن مبكرة، وقد أشرنا من قبل إلى أنَّه لم يخرج من بغداد إلَّا وهو متقن لثلاث لغات .

ونقل المحبي في خلاصة الأثر عن الفاضل مصطفى بن فتح الله قال: قلت(أي للبغدادي)لَمَّا رأيته من سعه حفظه واستحضاره: ما أظن هذا العصر سمح برجل مثلك، فقال لي:جميع ما حفظته قطرة من غدير الشهاب, وما استفدت هذه العلوم الأدبية إلَّا منه[1].

ومع اعتراف البغدادي بفضل شيخه الشهاب الخفاجي وتأدبه معه فإنَّ ذلك لم يكن يمنعه من الاعتراض عليه في أدب العالم عندما وجده ينسب بيتاً إلى عمرو بن معد يكرب ويعزوه إلى المفضليات إذ يقول:((والعجب من شيخنا الشهاب الخفاجي أنَّه نسبه إليه (في حاشية البيضاوي)،وقال: هو من قصيدة مسطورة له في المفضليات, مع أنَّه غير موجود شعره في المفضليات)) [2].

وعلى هذا النحو يعترض البغدادي على شيخه بأدب واحترام لا ينزلان به إلى درك الخضوع والاستسلام، مِمَّا يدل على أنَّ الرجل كان حرّ الفكر محققاً, معتزاً بعلمه .

لقد كان البغدادي عالماً بالأدب, متضلعاً فيه, فيه, عارفاً بأخبار العرب وأشعارها وأيامها ووقائعها, له مشاركات طيبة في علوم أخرى منها النحو والبلاغة, والتفسير والتاريخ وغيرها, مع حفاظ على الدين ,وتعظيم لحرماته[3].

ثامناً: مكتبة البغدادي :

لا بَّد لعالم كعبد القادر أن يعتني بالكتب وجمعها ،ولعلَّه لا ينافسه في هذا الشأن إلَّا القليل النادر من العلماء، أقول هذا ويقوله كل من ينظر إلى الثبت الذي ساقه البغدادي في مقدمة الخزانة للكتب التي اعتمد عليها في شرحه ودراسته شواهد الرضي، فإنَّه ذكر عدداً هائلاً من المؤلفات المتنوعة تنوع العلوم التي تتصل بها خزانة الأدب [4], فمنها ما هو في علم النحو, وما هو في شروح الشواهد وما هو في شرح أبيات المعاني المشكلة, وما يرجع إلى دفاتر أشعار العرب من الدواوين والمجاميع ,وما يرجع إلى فنون الأدب, وما يرجع إلى كتب السير وكتب الصحابة ,وانساب العرب ,وما يتعلق بأغلاط اللغويين ,وكتب الأمثال وكتب الأماكن والبلاد، ويذكر البغدادي من مصنفات كل من هذه الفنون الأعداد الكبيرة وأنَّه اعتمد عليها كلها، والعجب في أنَّ البغدادي يقول بعد حشده لهذه الأصناف العلمية ومؤلفاتها:((وغير ذلك مِمَّا لو سردته لطال وأورث السأم والملال)) [5].

ولا شكَّ أنَّ غالبية هذه الكتب التي اعتمد عليها البغدادي في خزانته موجودة في مكتبته الكبيرة, ذلك أنَّه يقول عن نفسه :واجتمع عندي بفضل الله((من الأسفار ما لم يجتمع عند أحد في هذه الأعصار))

---

[1] خلاصة الأثر452/2.

[2] خزانة الأدب 265/9 .

[3] ينظر: البغدادي حياته ودراساته النحوية في خزانة الأدب/37.

[4] ينظر: خزانة الأدب 1/ 18-27.

[5] خزانة الأدب 27/1.

[1]،وأنَّ المحبي يقول عنه في خلاصة الأثر:((أخبرني عنه بعض من لقيته أنَّه كان عنده ألف ديوان من دواوين العرب العاربة))[2].

ثم إنَّه تملك أكثر كتب شيخه الشهاب الخفاجي بعد موته التي كانت حافلة بأعظم نفائس المخطوطات من دواوين

الأدب ومجاميع الشعر العربي القديم, وتعليقات أئمة العربية عليها, وقد أضاف إليها مع الأيام كتباً أخرى عظيمة[3].

تاسعاً :آثاره ومصنفاته:

لَمَّا كان عبد القادر البغدادي أديباً بارعاً، يهوى الأدب ودراسة الأشعار صارت مؤلفاته دائرة حول أبيات الشواهد, فمن شواهد شرح الكافية للرضي إلى شواهد شرح الشافية له, إلى شرح شواهد المغني لابن هشام ,وشرح شواهد التحفة الوردية، وقد قام الأساتذة الفضلاء الذين حققوا كتبه أو الذين أفردوه بالدراسة بحصر أسماء كتبه المطبوعة والمخطوطة والمفقودة [4]،وفيما يأتي ذكر لبعض مصنفاته المطبوعة :-:

1- خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب ،مطبوع بتحقيق الدكتور عبدالسلام هارون، في القاهرة .
2- شرح الشواهد الشعرية الواردة في شرح الرضي على شافية ابن الحاجب , طبع في القاهرة سنة (1356هـ) .
3- شرح أبيات مغني اللبيب لابن هشام طبع سنة (1394هـ) في دمشق نشر دار المأمون للتراث .
4- حاشية على شرح بانت سعاد لابن هشام، طبع سنة (1400هـ) في مطابع دار صادر في بيروت .
5- رسالة التلميذ :مطبوعة مع عدة رسائل سنة(1392هـ) بمطبعة البابي الحلبي بمصر، بتحقيق الأستاذ :عبد السلام هارون, وجمعها في مجلد وكتب على غلافه : نوادر المخطوطات .
6- شرح شواهد التحفة الوردية في النحو لابن الوردي، مطبوع بتحقيق الدكتور عبدالله علي شلال، مكتبة الرشد ،الرياض ـ المملكة العربية السعودية، (1421هـ).

عاشراً: وفاته:

هجمت عل البغدادي في مقامه في أدرنة علةً قاسى منها آلاماً شديدة، وقد باشر معالجته كثير من الأطباء ولكن دون جدوى .

قال المحبي :((وكان أمره في نيل أمانيه مأخوذاً على التراخي فعاجله الملال والسآمة, وضاق به الأمر فذهب إلى معرة مصر وعاد ثانية، وأنا بالروم فابتلى برمد في عينه حتى قارب أن يكف بصره، فسافر

---

[1] خزانة الأدب 4/1.

[2] خلاصة الأثر 2/ 452 .

[3] ينظر : مجلة الزهراء 212/5.

[4] ينظر: مقدمة تحقيق خزانة الأدب 12/1ـ 18، والبغدادي حياته ودراساته النحوية في خزانة الأدب /39ـ 40.

من طريق البحر إلى مصر فوصلها ولم تطل بها مدته حتى توفي, في أحد الربيعين من سنة (1093هـ)، رحمه الله تعالى)) [1].

المبحث الثاني

((التعريف بكتابه خزانة الأدب))

أولاً: التعريف بالكتاب :

كتاب ((خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب)) سفر كبير بالغ الأهمية في علم النحو, واللغة, والأدب, والرواية عن العرب, وحفظ لغاتهم وأيامهم وأشعارهم وقبائلهم، وهو الكتاب الذي رفع ذكر البغدادي عند الأدباء والرواة والشعراء والنحويين، ويعد أعلى موسوعة في علوم العربية وآدابها، وليس هذا مبالغة فقد شحنه بالنصوص النادرة، وحفظ لنا به بقايا من كُتُبٍ قد فقدت أو اندثرت مع تمام العناية بالنقد والتحقيق لكل ما يورده من ذلك .

ولا غرو فقد استفاد البغدادي واستقى مادة كتابه من مصادر كثيرة متشعبة. ولقد يعجب الناظر في ((إقليد الخزانة)) لعبد العزيز الميمني , الذي ذكر أعداداً كبيرة من المراجع الوارد ذكرها في الخزانة ,واعتمد عليها البغدادي [2],وأودع كثيراً مِمَّا اختاره منها خزانته لتخرج في ذلك المقام الرفيع، يقول المحبي[3]:((وألف المؤلفات الفائقة, منها شرح شواهد الكافية للرضي الاستراباذي في ثماني مجلدات, جمع فيه علوم الأدب واللغة بأسرها إلَّا القليل, ملكتُهُ بالروم وانتفعت به ونقلت منه في مجاميع لي نفائس أبحاث يعزُّ وجودها في غيره .

وقد استغرق تأليف الخزانة ست سنين تخللها عطلة, لرحلة قام بها البغدادي إلى القسطنطينية، وكان تأليفه إياها بمصر، قال في ختامها:((وكان ابتداء التأليف بمصر المحروسة في غرة شعبان من سنة ثلاث وسبعين وألف, وانتهاؤه في ليلة الثلاثاء الثاني والعشرين من جمادى الآخرة من سنة تسع وسبعين، فتكون مدة التأليف ست سنين مع ما تخلل في أثنائها من لعطلة بالرحلة)) [4].

وكتاب يستغرق تأليفه هذا القدر من السنين من مؤلف هو عبد القادر البغدادي لا شكَّ في كونه أعظم مما ذكرنا عنه، الأمر الذي جعل مؤلفه يطريه واثقاً به مستجيداً له وثوقه بعلمه واستجادته لفهمه, قال في مقدمة خزانته:((وكنت مِمَّن مرن في علم الأدب حتى صار يلبَّيه من كثب، وأفرغ في تحصليه جهده، وبذل فيه وُكْده وكدّه, وجمع دواوينه وعرف قوانينه...فشمّرت عن ساعد الجد والاجتهاد, وشرعت في شرحها (يعني أبيات الرضي) على وفق المنى والمراد.

فجاء بحمد الله حائز المفاخر والمحامد, فائقاً على جميع شروح الشواهد, فهو جدير بأن يسمى (خزانة الأدب ولبّ لُباب لسان العرب))) [5].

---

[1] خلاصة الأثر 2/ 454 .

[2] ينظر " اقليد الخزانة " لعبد العزيز الميمني .

[3] خلاصة الأثر 2/ 452.

[4] خزانة الأدب 11/ 469.

[5] خزانة الأدب 1/ 4.

وقد جعل البغدادي هذا الكتاب هدية للسلطان محمد خان ابن السلطان إبراهيم خان ,من سلاطين آل عثمان، إذ كانت له به صلة وثيقة .

وقد قدَّم لكتابه هذا بمقدمة جليلة جعلها ثلاثة اقسام, تحدث في القسم الأول منها عن الكلام الذي يصح الاستشهاد به في اللغة والنحو والصرف, وفي الثاني عن المواد التي اعتمد عليها في شرحه، وفي القسم الثالث ترجم لشارح الكافية رضي الدين [1].

موضوعه ودوافع تأليفه :

يعد شرح الرضي لكافيه ابن الحاجب من خيرة الشروح, ومن أحسن كتب النحو، غير أنَّ الأبيات التي استشهد بها الرضي في شرحه لم تزل – إلى عصر عبد القادر – مهملة غير موثقة النسبة إلى أهلها, مِمَّا جعل المتمكن من الأدب العارف بأشعار العرب يرى أنَّه من الواجب عليه العناية بتلك الشواهد وتوثيق نسبتها إلى قائليها وتصحيح ما نسب منها إلى غير أهلها خطأ, لِمَا لمعرفة قائل الشاهد النحوي من أهمية بالغة لِمَا يستتبعه ذلك من معرفة زمن القائل وهل هو مِمَّن يحتج بكلامهم أو لا، ومن ثَمَّ قبول ذلك الشاهد أو ردّه، وكان هذا العمل الجليل من نصيب عبد القادر البغدادي .

فجعل دراسة تلك الأشعار وتحقيقها, وترجمة قائليها, وشرح معانيها وذكر مقطوعاتها التي تُخبت منها, هدفاً له، وعُني عنايةً كاملةً بالمسائل النحوية التي عرض لها الرضي في شرحه, ودرسها دراسة فائقة .

والبغدادي – وان كان قد أسهب في خزانته واستطرد – كان يرى لعمله ذلك مبرراً, قال في مقدمة الخزانة – بعد أن ذكر من يصحّ الاستشهاد بكلامه:((وعُلم مِمَّا ذكرنا– من تبيين الطبقات التي يصح الاحتجاج بكلامها–أنَّه لا يجوز الاحتجاج بشعر أو نثر لا يعرف قائله .. وعلة ذلك أن يكون الكلام مصنوعاً أو لمولد, أو لمن لا يوثق بكلامه. ولهذا اجتهدنا في تخريج أبيات الشرح وفحصنا عن قائليها, حتى عزونا كل بيت إلى قائله .. وميزنا الإسلامي عن الجاهلي, والصحابي عن التابعي .. وضممنا إلى البيت ما يتوقف عليه معناه ..كل ذلك بالضبط والتقييد، ليعم النفع ويؤمن التحريف، وليوثق بالشاهد لمعرفة قائله ويدفع احتمال ضعفه)) [2].

على أنَّ البغدادي لم يتمكن من معرفة كل قائلي الشواهد فبعضها عرف أصحابها واستوثق من نسبتها إليهم, وهذه – عنده – قسمان ,قسم وثّقه واطمأن إليه واعتمد الاستشهاد به . وقسم لم يطمئن إلى الاستشهاد به والاعتماد عليه, وأبدى فيه رأيه مثل قوله في قائل الشهد(43) [3]: وهذا الشاعر مِمَّن لا يستشهد بكلامهم, ونَقْلِهِ عن السخاوي في الشاهد (432)قوله: إنَّه "بيت وضعه بعض النحاة للتعليم"[4] وغير ذلك .والبعض الآخر جهل البغدادي قائله , وهو عنده قسمان أيضاً:

---

[1] خزانة الأدب1/5 وما بعدها .

[2] خزانة الأدب 1/ 16 .

[3] خزانة الأدب 1/ 299 وقائله أشجع السلمي .

[4] خزانة الأدب 6/ 72.

روايةُ ثقة كسيبويه والفرَّاء والمفضل الضبي والأصمعي وأبي عمرو الشيباني فهذا مقبول عنده , معتد به , غير مردود .

وروايةُ غير ثِقة, وهذا يحترز منه قال البغدادي في مقدمة الخزانة:((الشاهد المجهول قائله وتَتِمَّتُه إن صدر من ثقة يُعتمد عليه قُبِل وإلَّا فلا. ولهذا كانت أبيات سيبويه أصح الشواهد اعتمد عليها خلف بعد سلف, مع أنَّ فيها أبياتاً عديدة جُهِلَ قائلوها وما عيب بها ناقلوها , وقد خرج كتابه إلى الناس والعلماء كثير, والعناية بالعلم وتهذيبه وكيدة, ونظر فيه وفُتِّش, فما طعن أحد من المتقدمين عليه ولا ادّعى أنَّه أتى بشعر ونكر)) [1].

وقد رتّب البغدادي شواهد الرضي مرقّمة ليسهل الرجوع إليها، قال في معرض حديثه عن منهجه في الخزانة:" والتزمنا في شرح هذه الشواهد عدّها واحداً بعد واحد ليسهل موضع الحوالة فيه, ويزول التعب عن متعاطيه" [2].

ووصل تعدادها (957) شاهداً, تكرر بعضها في أثناء الشرح فنبه عليه ولم يدخله في نطاق العدد، قال البغدادي في الصفحة (463) من الجزء:(11), لَمَّا فرغ من الشاهد (956) :

" وأنشد بعده , وهو الشاهد السابع والخمسون بعد التسعمائة وهو آخر الشواهد:

فَعَيْنـاشِ عَينـاها وجيدُشِ جيدها سـوى أنَّ عظـم السـاقِ مِنْشِ دَقيـقُ "[3]

وقد انعكست عناية البغدادي هذه على الخزانة فصارت من أمَّات الكتب المعدودة, ومرجعاً مغنياً في فنون كثيرة, فاستُنسخت عدة مرات, وعُني بطباعتها أكثر من مرة .

ثالثاً: المعارف التي اشتمل عليها :

وسع البغدادي دائرة معارف كتابه, فحوى ضروباً مختلفة من علوم نافعة, شرعية ولغوية ونحوية وأدبية, وتاريخية وغيرها.

ولا نستطيع حصر فنون الخزانة, فهذا مِمَّا يعسر مناله ويضيق به العطن ،من هنا فقد عمدنا إلى اختيار مقتطفات من تلك الفنون قسمناها من حيث محتواها ووضعناها تحت عنوانات صغيرة وصدرناها بالحديث عن نواحي الشرع والعقيدة:

1ـ النواحي الشرعية والعقدية :

إنَّ مَنْ يقرأ الخزانة يتضح له اهتمام البغدادي بالعلوم الشرعية وهذه سمة المسلم المعتز بدينه, مهما كان مجال دراسته يظهر اجلاله علم العقيدة والشريعة, ذروة العلوم وسنامها وأفضلها .

فهو إذا مرَّ بذكر موطن أو يوم من أيام الجاهلية أو عمل من أعمالها, أو معتقد باطل, ذكر موقف الشريعة منه وتوجيه النبي "صلى الله عليه وسلم" إزاءه .

يا من رأى عارضاً أُسرُّ به بينَ ذراعي وجبهةِ الأسد[2] قال في شرح الشاهد (136) [1]:

---

[1] خزانة الأدب 1/ 16 .

[2] خزانة الأدب 18/1.

[3] خزانة الأدب 11/ 467

وكانت العرب تزعم أنَّه يحدث عند نوء كل منزل مطر أو ريح أو حرّ أو برد، وهذا الذي رُوِي في الحديث أنَّ النبي "صلى الله عليه وسلم" قال:((ثلاثٌ من أمر الجاهلية : الطّعنُ في الأنساب, والنياحةً, والاستسقاء بالأنواءِ)). وقال عندما ذكر صنماً يدعى ذا الخلصة كان يعبد في الجاهلية [3]:((وبلغنا أنَّ رسول الله "صلى الله عليه وسلم" قال: لا تذهب الدنيا حتى تصطكّ أَلْياتُ نِساء دَوْس على ذِي الخلصة يعبدونه كما كانوا يعبدونه)).

2ـ اللغة :

تضمنت خزانة الأدب مادةً لغويةً غزيرةً حتى لا تكاد تخلو صفحة أو صفحتان منها من شرح لغوي أو إشارة إلى أصل كلمة من الكلمات ورد ذكرها واحتيج في معرفتها إلى تبيين .

نذكر من ذلك على سبيل التمثيل: ما قاله البغدادي وهو يشرح أبيات الشاهد الأول, ومنها :

أتاني كلامُ الثعلبيِّ ابن دَيْسَقٍ ففي أيِّ هذا ويله يتترَّعُ [4]

إذ قال:((و(ديسق) علم منقول, قال الصاغاني في العباب :قال الليث:(الديسق) خوان من فضة, والطريق المستعمل والحوض الملآن والشيخ, والنور, وكل حلي من فضة بيضاء صافية, ووعاء من أوعيتهم مأخوذ من الدّسَق بفتحتين وهو امتلاء الحوض, يقال ملأت الحوض حتى دَسَقَ، أي: ساح ماؤه, وقيل: هو بياض الحوض وبريقه))[5].

وقال بعده:((وقوله(يتترع) التترع بفتحتي التاء المثناة فوق والراء, في العباب : ترع الرجل كفرح , إذا اقتحم الأمور مرحاً ونشاطاً وقيل: ترع الرجل سارع الى الشر والغضب, وتترع إليه بالشر، أي: تسرع وكأنَّه توعده بالقتل والسبي والنهب وما أشبه ذلك، يقول : إلى أي هذه الأمور يسابق بشره وبلائه))[6].

3ـ الأخبار :

عرض البغدادي في شرحه أبيات الرضي لكثير من الأخبار، وكان ينفذ إلى ذلك من أقرب مناسبة, مثل قوله في شرح الشاهد (9) وهو من أبيات ليزيد بن الحكم ,إذ قال:((وأم يزيد : بَكْرة بنت الزبر قان بن بدر, وأمها هنيدة بنت صَعْصَعة بن ناجية، وكانت بكرة أول عربية ركبت البحر)) [7].

وقوله عند ذكر الشاهد (12) وهو لعنترة :((وهو (يعني عنترة) أحد أغربة العرب وهم ثلاثة , والثاني خُفاف كغراب واسم أمه نَدْبة كتمرة, والثالث السليك بالتصغير واسم امه السُّلكَةَ بضم ففتح، وأمهات الثلاثة سود))[8].

---

[1] خزانة الأدب 2/ 320 .

[2] البيت للفرزدق , وينظر: خزانة الأدب 2/ 320.

[3] خزانة الأدب 1/ 191.

[4] من أبيات لذي الخرق الطهوي ،ينظر :خزانة الأدب1/34.

[5] خزانة الأدب 1/35.

[6] خزانة الأدب1/35.

[7] خزانة الأدب 1/ 113

[8] خزانة الأدب1/ 128.

وقال عن العجاج :((والعجاج اسمه عبد الله وكنيته أبو الشَّعْثاء، وكان يقال له عبد الله الطويل: ولقب بالعجاج لقوله :

حتى يعج عندها من عَجْعَجَا .

وهو أول من رفع الرجز وجعل له أوائل وشبَّهه بالقصيد))[1].

4ـ الأنساب :

تضمنت الخزانة حديثاً طويلاً عن أنساب العرب مِمَّا يدل على سعة علم البغدادي وإحاطته بالأنساب، من ذلك قوله وهو يشرح أبيات الشاهد (156), ومنها قوله : سعى ساعيا غيظِ بن مُرّة بعدما تبزَّل ما بين العشيرةِ بالدّم [2].

إذ قال:((الساعيان :الحارث بن عَوف وهَرِم بن سنان, وقيل : خارجة بن سنان , وهو أخو هرم بن سِنان , وهما ابنا عم للحارث بن عرف؛ لأنَّهما ابنا سنان بن أبي حارثة, والحارث هو ابن عوف ابن أبي حارثة, وابن أبي حارثة هو ابن مُرّة بن نُشْبة بن مُرّة بن غَيْظ بن مرة بن عوف بن سعد بن ذُبيان)) .

وقال عند ذكر عَبْس وذُبْيان في أحد أبيات القصيدة وهو :

تدارَكْتُما عبساً وذُبيانَ بعدما تفانوا ودقُّوا بينهم عِطْرَ مَنْشِم

((عبس وذبيان أخوان ,وهما ابنا بغيض بن ريث بن غطفان بن سعد بن قيس بن عيلان بن مُضر))[3], وغير ذلك كثير .

5ـ الأمثال :

من المعارف التي اشتمل كتاب البغدادي الأمثال، إذ تطالع قارئ الخزانة بين الحين والآخر،من ذلك على سبيل التمثيل ما قاله عبد القادر حول الشاهد(367): إنّا وجدْنا بني جِلَّانَ كُلّهمُ كساعد الضّبِّ لا طولٍ ولا قِصَرِ.

إذ قال:((قوله (كساعد الضب) الساعد: ذراع اليد والضب ساعد جميع أفراده على مقدار معين خِلْقة, لا يزيد ساعد فرد من أفراده طولاً على ساعد فرد آخر, وكذلك لا ينقص عن ساعد فرد آخر بخلاف سائر الحيوانات فإنَّ بين ساعد أفرادها تفاوتاً في الطول والقصر بحسب الجثة، وهذا ينبغي أن يكون من الأمثال في الأشياء المتساوية, كقولهم: "هم كأسنان المشط " لكني لم أره في كتب الأمثال، أراد أنَّ بني جلان متساوون في فضيلة رَشْق السهام لا يرتفع أحدهم على الآخر فيها ولا ينحطُّ عنه))[4].

وقوله:((لم أره في كتب الأمثال)) يفصح عن سعة اطلاعه وأنَّه قد تصفح جميع كتب الأمثال ولم ير ذكراً لهذا المثل مع أنَّه يجب أن يكون فيها فهذا تدارك على تلك الكتب وأصحابها واحتجاج على قاموس أمثال العرب كيف لا يكون هذا المثل الرائع واحداً منها.

---

[1] خزانة الأدب1/ 170.

[2] من معلقة زهير بن أبي سلمى , ينظر: خزانة الأدب6/3.

[3] خزانة الأدب 7/3.

[4] خزانة الأدب 185/5.

6ـ الأماكن :

عرض البغدادي في الخزانة لكثير من الأماكن والبلدان, وعرّفَ بها تعريفاً كافياً، وذلك عندما يرد ذكر الموضع أو البلدة في بيت من أبيات الرضي أو مقطوعة شعرية أخذ بيت الرضي منها وتحدث البغدادي عنها، مثل قوله في شرح الشاهد (115) :

فيا راكباً إمّا عَرَضْتَ فبلِّغَنْ نداماي من نجرانَ أن لا تلاقيا[1]

إذ قال:((ونَجْران , بفتح النون وسكون الجيم, قال أبو عبيد البكري في معجم ما استعجم: مدينة بالحجاز من شق اليمن, سميت بنجران بن زيد بن يشجب بن يعرب, وهو أول من نزلها، وأطيب البلاد نجران من الحجاز, وصنعاء من اليمن ,ودمشق من الشام, والريّ من خراسان انتهى))[2].

وفي شرحه قوله الشاعر [3]: فهلا تَمَنَّاها إذ الحرب لاقِحٌ وذو النَّبَوانِ قبرهُ يتصدّعُ

قال:((وذو النبوان .. اسم ماء بنجد لبني أسد، وقيل لبني السيد من ضبّة، كذا في معجم البلدان لياقوت الحموي))[4].

7ـ الكتب :

تطرق البغدادي في أثناء شرحه إلى الحديث عن كثير من الكتب الشرعية واللغوية و الأدبية والتاريخية وغيرها, وذلك عندما يتحدث عن عالم من العلماء إذ يذكر فضل ذلك العالم وآثاره وما يتعلق به, حتى إنَّه لا يعد مبالغةً أن نقول: إنَّ خزانة الأدب موسوعة لأسماء الكتب, ومؤلفيها . نكتفي بذكر مثال من ذلك خشية الإطالة والإملال، قال البغدادي في ترجمته لأبي حنيفة الدّيْنَوري :((وله من الكتب: كتاب الباءة، كتاب ما تلحن فيه العامة، كتاب الشعر والشعراء، كتاب الفصاحة، كتاب الأنواء، كتاب في حساب الذّرّ، كتاب البحث في حساب الهند، كتاب الجبر والمقابلة، كتاب البلدان مبير، كتاب النبات, لم يصنّف مثله في معناه، كتاب الجمع والتفريق، كتاب الأخبار الطوال، كتاب الوصايا، كتاب نوادر الجبر ,كتاب إصلاح المنطق، كتاب القبلة والزوال، كتاب الكسوف ،وله غير ذلك))[5].

وهذا الحشد المذكور من الكتب كله لمؤلف واحد هو الدينوري, مِمَّا يدل على حرص البغدادي على تضمين خزانته أكبر عدد من أسماء الكتب ومؤلفيها .

8ـ الأدب والبلاغة :

كما توسل أبو الفرج الأصبهاني بأبيات الأغاني لتدوين أخبار الشعراء الجاهليين والإسلاميين ومن اتصل بهؤلاء الشعراء أو اتصلوا به , فإنَّ عبد القادر البغدادي توسل –كذلك – بأبيات الرضي لتدوين كل ما يهم الأديب معرفته من فنون الأدب والنقد والبلاغة، وإنَّ هذه الفنون لتتداخل في الخزانة تداخلاً يصعب

---

[1] من قصيدة لعبد يغوث الحارث اليمني , ينظر: خزانة الأدب 2/ 195 .

[2] خزانة الأدب 2/ 198.

[3] هو ذو الخرق الطهري , ينظر: خزانة الأدب 34/1.

[4] خزانة الأدب 39/1 .

[5] خزانة الأدب 1/ 54 .

معه التفريق بين مصطلحات كل فن من هذه الفنون، من ذلك على سبيل التمثيل ما ذكره بعد فراغه من شرح الشاهد (38), قال:((اعلم أن الشعراء أربع طبقات : الأولى جاهلي قديم, الثانية المخضرم, الثالثة إسلامي, الرابعة مُحدَث. وهم أربعة أقسام: شاعر خِنْذيذ بالخاء والنون والذالين المعجمات على وزن إبريق, وهو الذي يجمع إلى جيد شعره رواية الجيد من شعر غيره .

وشاعر مُفْلِق، وهو الذي لا رواية له إلَّا أنَّه مجوِّد كالخنذيذ في شعره، المفلق معناه الذي يأتي في شعره بالفِلْق بالكسر وهو العَجَب , وقيل هم اسم الداهية .وشاعر فقط , وهو الذي فوق الرديء بدرجة .وشُعْرُور وهو لا شيء، وقيل: بل هم شاعر مفلق, وشاعر مطلق, وشويعر, و شعرور .

وسمي الشاعر شاعراً؛ لأنَّه يشعر لِمَا لا يشعر له غيره, فإذا لم يكن عند الشاعر توليد معنى واختراعه, واستطراف لفظ وابتداعه أو زيادة فيما أجحف به غيره من المعاني, أو نقص مِمَّا أطاله سواه من الألفاظ, وصرف معنى إلى وجه من وجه آخر كان اسم الشاعر عليه مجازاً لا حقيقة))[1].

9ـ عنايته بالمباحث النحوية :

عزم البغدادي على شرح شواهد رضي الدين شرحاً أدبياً لغوياً جاعلاً دراسة المسائل النحوية وتحريرها وتبيينها وتقريبها هدفاً من أهداف شرحه مناقشاً آراء كثير من النحاة قبل الرضي وزمنه وبعده, جاعلاً آراء الرضي محوراً تدور حوله المناقشات والمحاورات، وقد كان يعرض لتلك الآراء عرضاً جذاباً ويجمع مسائل النحو من مصنفات متفرقة فقد بعضها ولم يبق إلَّا أسماؤها, فحفظت لنا الخزانة كثيراً من مباحثها, إذ ربط البغدادي بينها بما أوتي من قدرة على الكتابة, يرفده في ذلك أدبه وكثرة ثقافته وذاكرة حادة يستطيع من خلالها أن يجمع ويوازن بين ما قرأه حول مسألة من المسائل في عدة مصنفات رُبَّمَا يعسر الجمع بينها .

وعندما نقرأ الخزانة نجد أمثلة ما نقول واضحة, وافرة عقب كل شاهد شرحه البغدادي إلَّا ما ندر .

فبعد إنشاد الشاهد (5) : وقاتم الاعماق خاوي المخترقن

ذكر عبد القادر سبب إنشاده عند الشارح المحقق رضي الدين فقال [2]: وأنشده((على أنَّ تنوين الترنم قد يلحق الرّويّ المقيّد فيختص باسم الغالي, تبع الشارح المحق في جعل تنوين الغالي نوعاً من تنوين الترنم لابن جني فإنَّه قال في سر الصناعة: الرابع من وجوه التنوين وهو أن يلحق أواخر القوافي معاقباً لِمَا فيه من الغنة لحرف الميم, وهو على ضربين: أحدهما أن يلحق مُتَمِّماً للبناء، والآخر أن يلحق زيادة بعد استيفاء البيت جميع أجزائه نَيْفاً من آخره بمنزلة الزيادة المسماة خَزْمَاً في أوله، ثم قال: وإنَّما زادوا هذا التنوين في هذا الموضع ونحوه بعد تمام الوزن، لأنَّ من عادتهم أن يلحقوه فيما يحتاج إليه الوزن نحو: قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزلن . وقوله : الحمدُ لله الوَهُوب المجْزِلَن [3] .

---

[1] خزانة الأدب 1/ 269.

[2] خزانة الأدب 1/ 78 .

[3] لأبي النجم العجلي . ينظر: خزانة الأدب1/ 78.

فلَمَّا اعتادوه فيما وزنه ألحقوه أيضاً بما هو مستغنى عنه[1] . وهذا معنى قول الشارح((وإنَّما ألحق الرويَّ المقيد تشبيهاً له بالمطلق)) [2]،وزعم ابن يعيش أنَّ فائدة هذا التنوين التطريب والتغني ،وجعله ضرباً من تنوين الترنم وزعم أنَّ تنوين الترنم يراد به ذلك، وهو غلط كما بينه الشارح المحقق[3].

وقال عبد القاهر: فائدة الإيذان بأنَّ المتكلم واقف, لأنَّه إذا أنشد عجلاً والقوافي ساكنة صحيحة لم يعلم أواصلٌ هو أم واقف؟ وأنكر هذا التنوين الزجاج و السيرافي,وزعما أنَّ رؤبة كان يزيد في أواخر الأبيات (إن) فلَمَّا ضعف صوته بالهمزة لسرعة الإيراد ظن السامع أنَّه نون, وفي هذا توهيم الرواة بمجرد الاحتمال ".

ثم قال[4]: ((وقول الشارح " فيفتح ما قبل النون تشبيهاً لها بالخفيفة, أو يكسر للساكنين كما في حينئذٍ " [5]،قال ابن هشام في شرح الشواهد: والأخفش يسمي هذا التنوين غالياً, والحركة التي قبل التنوين غلواً, وهي الكسرة ,لأنَّها الأصل في التقاء الساكنين, كقولهم يومئذٍ ومهٍ، وزعم ابن الحاجب أنَّ الأولى أن تكون الحركة قبل فتحة، كما في نحو اضربَنْ، وأنَّ هذا أولى من أن يقاس على يومئذٍ لأنَّ ذاك له أصل في المعنى, وهو عِوض من المضاف إليه، ولنا أنَّ قياس التنوين أولى, لاتحاد جنسهما, ولأنَّهما يكونان في الاسم، والنون لا تكون إلَّا في الفعل, ثم إنَّ فتحة اضربَنْ للتركيب كما في خمسة عشر, لا لالتقاء الساكنين)).

هذا كله ساقه البغدادي حول شاهد واحد، ولم يكتفِ به بل أضاف إليه بحثاً نحوياً آخر وهو يشرح البيت الشاهد والأبيات التي تتعلق به من القصيدة شرحاً لغويا مِمَّا يدل على شغفه بمدارسة النحو وتحرير المسائل النحوية، وجمعهما ومناقشتها, قال البغدادي[6] :((فقوله (وقاتم) الواو واو رُبَّ, وهي عاطفة لا جارة ... وقد أنشد الشارح هذا البيت في رُبَّ من حروف الجر أيضاً على أنَّ رُبَّ محذوفة بعد الواو, وذكر أنَّه يجوز حذفها في الشعر بعد الواو والفاء وبل ،ولم أرَ من قيَّد حذفها في الشعر وغيره .. إلخ)). وهكذا كان يسير البغدادي في شرحه أبيات الرضي، وأنت ترى جانباً من النحو لا يستهان به ضمه كتاب الخزانة إذ أنَّ الكلام الذي سقناه كان – رغم طوله – حول شاهد واحد من(957) شاهد ،كلها شرحها البغدادي, وعرض لِمَا فيها من مسائل نحوية.

المبحث الثالث

((منهجه في تحقيق النصوص في ضوء الخزانة))

يعد البغدادي مثالاً للعالم الواسع الاطلاع على المكتبة العربية بفروعها المختلفة، فقد وسَّعَ دائرة معارف كتابه وعدَّدَ مصادر خزانته, واصطفى من تلك المراجع ما راق له ورأى فيه خدمة بحثه وحقق من خلال الرجوع إليها معلوماته التي ضمنها كتابه.

---

[1] في سر الصناعة 503/2 : " فيما هو مستغن عنه " .ط أولى 1405 هـ , دار القلم بدمشق .

[2] شرح الكافية في النحو 1/ 15 .

[3] شرح الكافية في النحو 14/1. 15.

[4] خزانة الأدب 79/1.

[5] شرح الكافية في النحو 15/1.

[6] خزانة الأدب 80/1 .

إذن فكثرة مصادر الخزانة دليل على حرص البغدادي على تحقيق ما يورد من مسائل، ويشمل ذلك نسبة الشواهد إلى قائليها ورواية الشاهد وزمن قائله والرواة والشراح الذين عنوا بتلك الشواهد والمسائل النحوية واللغوية المتناولة في الشواهد المتداولة بين العلماء, وأيُّ الآراء أصوب، وصحة نسبة الأقوال إلى أهلها, وغير ذلك مِمَّا يفوق الحصر والعد والتمثيل مِمَّا يتضح لطالب علم الخزانة, جوانب متعددة توضح مدى اهتمام البغدادي بتحرير القضايا المدروسة والمسائل المناقشة والآراء والأقوال المعروضة, والتوثيق والتحقيق في كل ذلك غاية التوثيق والتحقيق ،فهو ينهج منهجا تحقيقيا، قلَّ نظيره بين محققي اليوم ،فأبيات شرح الكافية التي استشهد بها الرضي ،وهي زهاء ألف بيت، كانت محلولة العقال ظاهرة الإشكال ،لغموض معناها وخفاء مغزاها، وقد انضم إليها التحريف وبان عليها التصحيف ،وكان البغدادي كما يقول عن نفسه:((مِمَّن مرن في علم الأدب حتى صار يلبيه من كَثَب، وأفرغ في تحصيله جُهْدَه، وبذل فيه وُكْده وكدَّه، وجمع دواوينه، واجتمع عنده بفضل الله من الأشعار ما لم يجتمع عند أحد من هذه الأعصار ....ولهذا اجتهدنا في تخريج أبيات الشرح ،وفحصنا عن قائليها حتى عزونا كل بيت إلى قائله ـ إن أمكننا ذلك ـ ..... و نسبناه إلى قبيلته أو فصيلته، وميزنا الإسلامي عن الجاهلي، والصحابي عن التابعي ،وهلم جرًّا ،وضممنا إلى البيت ما يتوقف عليه معناه)) [1]

فهو في تحقيق النصوص لا يُبَارى, فهو يقابل بين النسخ ويجتهد في تخريج النص, ويترجم للعلماء والشعراء تراجم وافية ويكمل أبيات الشعر ويخرجها, وينسب الابيات المجهولة, ويشير إلى اختلاف الروايات في البيت الواحد, وغير ذلك مِمَّا ينادى به علماء هذا الفن في العصر الحديث .وفيما يأتي بعض الامثلة التي توضح منهجه وطريقته في التحقيق:

أولاً: مقدمة التحقيق:

تقتضي أصول التحقيق العلمي أن يقوم المحقق بكتابة مقدمة، يبين فيها مسائل مختلفة تتصل بالنص الذي يحققه، إذ يترجم لمؤلفه، ويؤكد نسبة الكتاب إلى صاحبه، ويحقق في عنوانه، ثم يصف نسخ الكتاب المخطوطة التي عاد إليها، ويبيّن منهجه في التحقيق، ثم يدرس الكتاب نفسه من حيث منهج المؤلف ومذهبه وتأثيره في تاليه من المصنفات، ومصادره التي استقى منها، ويبحث في الجديد الذي أضافه من اجتهادات أو إبداع .

ولا نستطيع أن نطالب البغدادي بكل هذا لأنَّه لم يتوجَّه في عمله هذا إلى((شرح الرضي على الكافية ،لابن الحاجب))،وإنَّما تصدّى في الأصل لشواهد الرضي الشعرية، ففصّل فيها القول، وجمع فأوعى[2].

---

[1] خزانة الأدب 1/

[2] منهج البغدادي في تحقيق النصوص اللغوية /13ـ 14.

والبغدادي في سبيل إنجاز مهمته الرئيسة ترك لنا مقدمةً لعمله دقيقةً، استوعب فيها ما يمكن أن يتصل بغرضه القريب والبعيد، صنيع المحققين الذين يعكفون ـ بعد الانتهاء من عملهم ـ على كتابة ((مقدمة التحقيق)). وقد تعرّض فيها للموضوعات التالية :

أـ سبب تأليفه للخزانة :أشار عبد القادر في مقدمته إلى أنَّ سبب تأليفه لكتابه((الخزانة)) يعود إلى أهمية شرح الرضي:((وهو كتاب عكف عليه نحارير العلماء، ودقّق النظر فيه أماثل الفضلاء)) [1]،ويعلل ذلك بقوله :((لما فيه من أبحاث أنيقة وأنظار دقيقة وتقريرات رائقة وتوجيهات فائقة، حتى صارت بعده كتب النحو كالشريعة المنسوخة)) [2].وبعد ذلك يشير إلى أنَّ ثمة صعوبة في أبيات شواهده وهي زهاء ألف بيت، فقد كانت ((محلولة العِقال، ظاهرة الإشكال لغموض معناها وخفاء مغزاها، وقد انضمَّ إليها التحريف، وبان عليها أثر التصحيف)) [3] ،وهذا في الحقيقة يدلُّ على ذيوع شرح الرضي مِمَّا جعله مطلوباً، فذاع بين النسَّاخ لتلبية رواجه في أسواق العلم، هذا فضلاً عن أنَّ الشعر يُخْطَئُ في روايته وكتابته مَنْ لا علم له في العربية .

ب ـ قضايا أصولية :تحدث البغدادي في مقدمته عن قضايا أصولية تتصل بعمله اتصالاً مباشراً ففصّل في((الكلام الذي يَصِحُّ الاستشهاد به في اللغة والنحو والصرف)) [4]؛وذلك لأنَّ أساس ((خزانته)) سيتوجَّه إلى شعر العرب الذي يُحتجُّ به في التأصيل والتقعيد. وقد قسَّم الكلام الذي يُستشهد به إلى شعر وغيره، وقسّم الشعرَ إلى طبقات أربع: جاهلية ومخضرمة وإسلامية ومولَّدة، فالطبقتان الجاهلية والمخضرمة يُستشهد بشعرهما إجماعاً. ويرى البغدادي[5] ـ كما هو مذهب الجمهور ـ صحّة الاستشهاد بالطبقة الثالثة التي أدركت الإسلام ،وأشار إلى مذهب بعض علماء العربية في أنهم يُلَحِّنون الفرزدق وذا الرمة والكميت وأضرابهم، وكانوا يعدونهم من المولَّدين. وأما الطبقة الرابعة فيصحِّحُ البغدادي أنَّه لا يستشهد بكلامها مطلقاً، ونقل قول من يجوِّز الاستشهاد بكلام من يوثق به منهم، وهو مذهب الزمخشري والرضي وآخرين، إذ كانوا يجعلون ما يقوله هؤلاء المولَّدون الموثَّقون بمنزلة ما يروونه، وناقش هذا المذهب، وما يؤخذ عليه من اعتراضات.

وأمّا الكلام العربي من غير الشعر فهو: إمّا القرآن الكريم ـ ويُبَيِّن حكم الاستشهاد به، حيث يستشهد بمتواتره وشاذِّه ـ وإمَّا الحديث الشريف .

فمسألة الاحتجاج بالحديث مسألة طال الجدل فيها قديماً وحديثاً، ويفصِّل صاحب الخزانة[6]فيها، ويذكر آراء الفريقين :فالفريق الأول يرى أنَّه لا يجوز الاحتجاج بالحديث؛ لأنَّ الأحاديث لم تُنْقَل كما سُمعتْ عن النبي صلى الله عليه وسلم ،وإنَّما رويت بالمعنى، ولذلك نجد أئمة النحو المتقدمين توقفوا عن الاحتجاج، وبيَّن الردود التي ترد على هذا المذهب بأنّ النقل بالمعنى ـ على تقدير تسليمه ـ كان قبل فساد

---

(1) خزانة الأدب3/1 .

(2) خزانة الأدب3/1 .

(3)خزانة الأدب 3/1 .

(4) خزانة الأدب5/1 .

(5)خزانة الأدب6/11 .

(6)ا خزانة الأدب1 9/1 .

اللغة، وغايته تبديل لفظ بلفظ يَصِحُّ الاحتجاج به، ولا يلزم من عدم استدلال المتقدمين بالحديث عدم صحة الاستدلال به. وأخذ البغدادي بمذهب الذين يجيزون الاحتجاج بالحديث، وأشار إلى توسَّط الإمام الشاطبي[1]، إذ أنَّه يرى جواز الاحتجاج بالأحاديث التي اعتني بنقل ألفاظها .

ثم تعرّض البغدادي لمسألة الاحتجاج بكلامٍ لا يعرف قائله[2]، ومنع ذلك مخافة أن يكون ذلك الكلام مصنوعاً، أو لمولَّد، أو لمن لا يوثَقُ بكلامه، ويقول:((ولهذا اجتهدنا في تخريج أبيات الشرح وفحصنا عن قائليها، حتى عَزَونا كل بيت إلى قائله إن أمكننا ذلك)). ويضبط عبد القادر القاعدة في هذه المسألة بأنَّ الشاهد المجهول قائله وتتمّته إنْ صدر من ثقة يعتمد عليه قُبِلَ، وإلَّا فلا، ولهذا كانت أبيات سيبويه أصحّ الشواهد، مع أنَّ فيها أبياتاً عديدة جُهِل قائلوها .

(ج) منهجه :رسم صاحب((الخزانة))في مقدمته بعد ذلك منهجه، فهو معنيٌّ بتخريج أبيات الشرح، والفحص عن قائليها، والتوجّه إلى الأبيات الشعرية لإتمام الناقص فيها وشرْح غريبها ومشكلها وبيان الشاهد فيها، والتزم بترقيم كل شاهد لتسهل الإفادة منه والإحالة على شواهده المتفرقة[3]، وبعد ذلك يُعَدِّد مصادره التي اعتمد عليها. وقد أتى في هذه الفقرة بأمر عجب يُعَدُّ شيئاً جديداً بالقياس إلى طريقة التأليف في عصره، هذا الأمر دَرَجَ عليه المحققون المعاصرون، وهو أنَّه أورد قائمةً تفصيلية بمصادره التي اعتمد عليها في عمله، بيدَ أنَّ التصنيف المعاصر يرتبه على الحروف الهجائية ويثبته في آخر العمل، في حين أن البغدادي اختار التصنيف الموضوعي وأثبته في المقدمة. لقد قسَّم البغدادي موارده إلى ما يرجع إلى علم النحو، وما يرجع إلى شروح الشواهد، وما يرجع إلى دواوين الشعر وكتب التراجم والسير والطبقات، وإلى المصادر اللغوية والمعجمات، وإلى كتب أغلاط اللغويين، وإلى كتب الأمثال فكتب الأماكن والبلاد [4].

ولما كان عصر البغدادي لم يدرك الطباعة وإنَّما كان الاعتماد على المخطوطات فقد كان الرجل إذا مرَّ بمخطوطٍ له قيمته عند أهل العلم أشار إلى ذلك، كقوله[5]:((وأبيات المعاني للأشناندانى بخطِّ ابن جني جني وعليها إجازة أبي عليّ له)) وكقوله[6]:((وكتاب المنسوبين إلى أمهاتهم للحلواني بخطه)).وقد يشير إلى عدد مجلدات المخطوط، كقوله[7]:((وأبيات المعاني لابن قتيبة في مجلدين ضخمين))،وقوله[8]:((ومعجم البلدان لياقوت الحموي في عشر مجلدات كبار)).

(د) ترجمة الشارح: ويتفرغ البغدادي بعد ذلك لترجمة مؤلّف((شرح الكافية)) الإمام الرضي، فيشير أولاً إلى أنَّه لم يطّلع على ترجمة له وافية بالمراد، ويثبت ما قرأه من ترجمته في آخر نسخة قديمة من نسخه، ثم

---

[1] خزانة الأدب 12/11 .

[2] خزانة الأدب 16/1 .

[3] خزانة الأدب 18/1 .

[4] منهج البغدادي في تحقيق النصوص اللغوية /19.

[5] خزانة الأدب 20/1 .

[6] خزانة الأدب24/1 .

[7] خزانة الأدب20/1 .

[8] خزانة الأدب27/1 .

يحقق في وفاته[1]، فينقل ما ذكره السيوطي من أنَّ وفاته سنة أربع وثمانين ـ أو ست ـ وستمائة، وينفي هذا القول، ويستدل على ذلك بأنه تمّم ((شرح الكافية)) في سنة ست وثمانين وستمائة،((وعلى هذا لا يمكن أن يكون تاريخ وفاته ما ذكره السيوطي فإنَّه عاش مدة يحرر شرحه، ولهذا تختلف نسخه اختلافاً كثيراً، وشرْحُه للشافية متأخر عن شرحه للكافية، فلا يصلح ذلك التاريخ)) [2].

وأورد بعد ذلك نصوصاً تشير إلى مكانة الرضي العلمية وأقوال العلماء فيه .

من مقدمة البغدادي تلك نخرج إلى أنَّها غير بعيدة عن مقدمة الكتب التي تخرج اليوم محققة، وذلك في مجملها وخطوطها العريضة، فالمسائل التي تعرّض لها تتصل بطبيعة عمله، كحديثه عن الاحتجاج وطبقاته، أمَّا أنَّه لم يتحدث عن صحة نسبة الشرح إلى الرضي فقد كانت المسألة عنده وعند غيره لا تحتمل أدنى شك، كنسبة((الكتاب))إلى سيبويه مثلاً، وأمّا أنه لم يحقق عنوان شرح الرضي فيظهر أنَّ الرضي نفسه لم يطلق على كتابه تسمية معينة تختلف عن((شرح الكافية))،فلم يكن البغدادي بحاجة إلى التدقيق فيها، وأمّا تقويم نسخ((شرح الكافية))المخطوطة التي عاد إليها فلا يطالب البغدادي بذلك لأنَّه لم ينطلق في عمله من عبارة الرضي نفسها، وإنَّما انطلق من شواهدها الشعرية، غير أنَّه أشار في مقدمته إلى كثرة التصحيف والتحريف اللذين طرأ عليها[3]، ومع ذلك فإنَّ البغدادي كان يشير في ثنايا حديثه إلى مواضع وقع فيها تصحيف وتحريف في نص الشرح نفسه [4].

ثانياً: المقابلة بين النسخ :

مَرَّ البغدادي في أثناء شرحه لشواهد الرضي بنص لغوي يعدّد الألفاظ المختصة بالنفي، وقد لمس أنَّ هذه الألفاظ في مخطوطات((شرح الكافية)) التي بين يديه محرّفة يصعب الانتفاع بها، فنهض لخدمتها وتحريرها ،يقول[5]:((قد ذكر الشارح المحقق بعد هذا البيت إحدى وعشرين كلمة من الكلمات التي تختص بالنفي، وهي في أكثر النسخ محرفة غير منتفع بها فرأينا من الإحسان ضبطها وشرحها ...)) .

وفي مجال تحقيقه وضبطه لهذه الألفاظ مرَّ به لفظ((طاوي))من قولهم: ما بها طاوي قال[6]:((وفي غالب نسخ الشرح ((طاري))بالراء، وينقل شرحها عن ابن الصائغ بأنَّه الغريب، ولكنه يرفض هذا الضبط لأنَّ لفظة طاري بالراء ليست ملازمة للنفي .

ومن هنا نلاحظ البغدادي ثقفاً لقناً يمثل المحقق الذي يختار من النسخ التي بين يديه ما يراه مناسباً لسياق النص، ولو أنَّ أكثر النسخ المخطوطة يخالف اختياره؛ لأنَّ المسألة في هذا العِلْم لا تُقاس بالكثرة والقلة، فرب نسخةٍ أفضل من عشر غيرها .

---

[1] خزانة الأدب 28/1 .

[2] خزانة الأدب 29/1 .

[3] خزانة الأدب 3/1 .

[4] يتظر: منهج البغدادي في تحقيق النصوص اللغوية /23.22.

[5] خزانة الأدب 353/7 .

[6] خزانة الأدب 357/7 .

ويعالج صاحب ((الخزانة)) قول ذي الرمة[1] :

أبَتْ ذِكَرٌ عَوَّدْنَ أحْشاءَ قلبه خُفوقاً ورَفْضاتُ الهوى في المفاصلِ

فيوازن بين نسخ الشرح والديوان ويقول:((وقوله:((أبت))هذا جواب((إذا))في البيت قبله، وفي بعض نسخ الشرح ((أتت))بالمثناة على أنَّه من الإتيان، ولم أره في نسخ الديوان، وعندي منه ولله الحمد أربع نسخ))فهو يقابل بين النسخ ،ثم يقابل بين النسخ والديوان، ثم يقابل بين نسخ الديوان، فهي إذاً ثلاث مقابلات، ويظهر أنَّه لم يترجح لديه شيء فاكتفى بما هو مثبت، ولم ير ضرورة لغير ذلك . وينصُّ صاحب ((الخزانة)) على تحريفٍ وجده في نسخ شرح الرضي في قول الشاعر[2] :

فأمَّا الصدورُ لا صدورَ لجعفرٍ

فيقول:((ووقع في نسخ الشرح ((لديكم)) بدل((لجعفر)) وهو تخليط من النساخ))، وعمدته في ذلك المظانّ الأصيلة التي ذكرها إلى جانب البيت .

وكان البغدادي يُعنى بالتدقيق في الأعلام التي يوردها، وينبِّه إلى أوجه التصحيف والتحريف التي قد تحدث في المخطوطات التي كان القوم يتداولونها، ومن ذلك ذِكْره للشاعر المرار الفقعسي، فقد ورد في نسخ((شرح الكافية)) المخطوطة: العبسي، قال[3]:((وهو تحريف وتصحيف من الفقعسي؛ إذ ليس من الشعراء المرار العبسي)) .

وقد يواجه المحقق مشكلة اجتماع النسخ على إثبات لفظة يرى فيها تحريفاً، وهذه من معضلات فن التحقيق، فقد ورد في نسخ ((شرح الكافية)) [4] :

أبو موسى فجدُّك نعم جَدَّا وشيخ الحيِّ نِعم خالا

وقد واجه البغدادي هذا الموقف بحاشية مطولة قال فيها:((وأما قوله ((فجدُّك)) تحريف وقع في نسخ هذا الشرح، ولم يتنبَّه له أحد ولا فتَّش ديوان قائله حتى يُؤخذ الماء من مجاريه. وقد تمحَّل لإعرابه المولى حسن الفناري في((حاشية المطول)) وهو معذور قال:((قوله فجدُّك بدل من ((أبو موسى))،والأقرب أنَّ((أبو موسى))مبتدأ، فجدُّك خبره، والفاء زائدة في الخبر على ما جوَّزه الأخفش، أمَّا زيادتها في البدل فلم أظفر به والمخصوص بالمدح محذوف، هذا غاية ما تكلف به، وصوابه((فحسبك))كما هو مسطور في عدة نسخ ديوان ذي الرمة)).فقد اجتمعت النسخ على التحريف، ثم يتابع التحريف طائفة من العلماء، أمَّا هو فقد أحسَّ بأنَّ في البيت نظراً فعاد إلى الديوان فظفر في بعض نسخه المخطوطة بلفظٍ يقوِّم البيت فاختاره .

وذكر في موضع ،قائلاً: ((وأنشد :

إذا ابنُ أبي موسى بلالاً بلغتِهِ فقام بفأسٍ بين وَصْلَيْك جازرِ.

---

[1] خزانة الأدب 87/8 .

[2] خزانة الأدب 364/11 .

[3] خزانة الأدب 253/7 .

[4] خزانة الأدب 390/9 .

... وبلالاً ينبغي أن يكون بالرفع, لأنَّه بدل من ابن أو عطف بيان له، وقد رأيته مرفوعاً في نسختين صحيحتين من إيضاح الشعر لأبي على الفارسي, إحداهما بخط أبي الفتح عثمان بن جني)) [1].

ثالثاً: الاجتهاد في تخريج النص:

يغلب على كثير من رجال السلف أن يذكروا في مصنفاتهم المعلومة العلمية من دون أن يذكروا المصدر الذي نقلوا عنه، فيقول الواحد منهم:((وذهب الأخفش إلى جواز المسألة)) فلا يذكر المصدر الذي نقل عنه هذه المعلومة من كتب الأخفش، وتشيع هذه الظاهرة على نحوٍ معين من المصنفات اللغوية، ومن هنا قد يَعْسُر على الباحث المعاصر توثيق هذه النقولات فيبذل الجهد، وقد لا ينتهي إلى شيء. ويُعنى الباحثون اليوم عناية كبيرة بذكر مصادرهم في المعلومات التي يوردونها فيما يُعرف بالتوثيق والنص على أسماء المراجع، وهذا الجهد يُسهّل على من أراد التوسّع في المسألة أو تدقيق صحة النسبة أو المراجعة لأغراض أخرى[2]، وقد بلغ البغدادي في هذا شأواً بعيداً عجيباً، حتى إنَّ القارئ في كتابه يندر أن يمر بمعلومة من غير توثيقٍ وردٍّ إلى مظانّها ومواردها، بل إنّ من النادر أن نمرّ بصفحة تخلو من سرد أسماء الكتب، من ذلك قوله[3]:((قال الأصمعي في كتاب الصفات، وابن دريد في الجمهرة، وأبو علي القالي في أماليه، وابن الأثير في المرصّع واللفظ له:((أم مُدَّوي يُضرب بها المثل لمن يُورّي بالشيء عن غيره ويكني به عنه ...))،وما أكثر أن نقرأ مثل:((قال أبو حنيفة الدينوري في كتاب النبات))[4]((وقال ابن الحاجب في أماليه))[5]،((وقال علي بن حمزة البصري في كتاب التنبيهات على أغلاط الرواة))[6].ولا يقتصر النص على ذكر المظان عند البغدادي على عِلْم دون عِلْم، أو على عَلَمٍ دون عَلَمٍ، وإنَّما يشمل هذا كلّ من كان ينقل عنه .

وكان صاحب((الخزانة)) يعود إلى مصادر أصيلة التي تُعَدّ من الأمَّات في فنها الذي تبحث فيه، فإذا تحدّث في إعراب بيت ورد في الحماسة مثلاً أحال على((إعراب الحماسة)) [7]لابن جني، وإذا أشار إلى شاعرٍ لصّ أحال على((كتاب اللصوص)) للسكري[8]،وإذا تكلّم على الأنساب ورد مثل قوله:((قال ابن الكلبي في جمهرة الأنساب)) [9]،وإذا ورد اسم صحابي توجّه إلى الموارد الأصيلة التي فصّلت في الصحابة كالإصابة[10]، وهكذا .

---

[1] خزانة الأدب 450/1.

[2] منهج البغدادي في تحقيق النصوص اللغوية/ 24.

[3] خزانة الأدب 139/3 .

[4] خزانة الأدب 47/1 .

[5] خزانة الأدب 47/1 .

[6] ا خزانة الأدب 48/1 .

[7] خزانة الأدب 439/2 ،

[8] ا خزانة الأدب 161/2 .

[9] خزانة الأدب 266/1 .

[10] خزانة الأدب 251/1 .

وكانت فكرة المصدر الأصيل تؤلف عند الرجل حيزاً واسعاً يَعتَدُّ به، ومن مظاهر ذلك قوله[1]:((ولكون أبيات سيبويه أصحّ الشواهد التزمنا في هذا الشرح أن ننصَّ على ما وُجِدَ فيه بيتاً بيتاً، ونميزها عن غيرها ليرتفع شأنها ويظهر رجحانها)) .

وقد يكتفي البغدادي بأن يشير إلى مصادر أخرى في المسألة إشارةً من غير أن ينقل عنها، كما يفعل جمهرة المحققين اليوم بعد فراغهم من البحث في معلومة معينة، كقوله[2]:((وقد حكى مثل حكاية التاريخي أبو القاسم علي بن حمزة البصري اللغوي في كتاب التنبيهات على أغلاط الرواة)) .

وذكر في موضع آخر: ((ثم قال(ابن خلف):وقد قيل إنَّه يجوز أن يكون(أسهل) اسماً لموضع بعينه. أقول: قد فتشت كتب اللغة وكتب أسماء الأماكن, كمعجم ما استعجم, ومعجم البلدان, فلم أجد له ذكراً فيها)) [3].

رابعاً: تراجم العلماء والشعراء :

يُعنى المحقق اليوم بخدمة النص الذي يسعى في تحقيقه، بما يُجَلِّيه ويوثِّقه، ولعلَّ من مظاهر هذه الخدمة أن يقوم المحقق بترجمة أعلام النص والتعريف بهم على نحوٍ يختلف من مدرسة إلى أخرى، فبعضهم يرى أن يُعَرِّف بكلِّ من يرد في النص المحقق من أعلام ، سواء أكانوا مشهورين أم غير ذلك .

ويرى بعضهم أن يُترجم للعلم غير المعروف وتُغْفل ترجمة العلم المعروف. ويرى آخرون أن تقتصر الترجمة على تعريف موجز بالعلَم ،يتضمن المعلومات الرئيسة اللازمة، في حين يرى آخرون إثبات مزيد من التفصيل[4].

والبغدادي في تحقيقاته يأخذ بمبدأ ترجمة كل أعلام النص الذي يحققه، وعلى نحوٍ مفصل، وهذا يرسم دليلاً جديداً على أنَّ مستلزمات التحقيق كانت واضحة في ذهن الرجل، ومنهجه في هذه المسألة يقوم على ما يأتي:

يُثبت جمهور المحققين اليوم مصادرهم التي أخذوا منها معلومات الترجمة، ويصنع البغدادي هذا الصنيع في تراجمه، من ذلك أنّ من شواهد الرضي قول الشاعر : أخو رغائبَ يُعْطيها ويسألها يأبى الظُّلامة منه النَّوْفَلُ الزُّفَرُ

يقول البغدادي[5]:((وهذا البيت لأعشى باهلة، قال الآمدي في((المؤتلف والمختلف)):((أعشى باهلة يكنى أبا قُحْفان جاهلي واسمه عامر بن الحارث، أحد بني عامر بن عوف ...)) .

---

[1] خزانة الأدب 17/1 .

[2] خزانة الأدب 237/1 .

[3] خزانة الأدب 281/1.

[4] ينظر: منهج البغدادي في تحقيق النصوص اللغوية/93.

[5] خزانة الأدب 187/1 .

وعندما ورد اسم الأسود الغندجاني ترجم له البغدادي بقوله[1]:((ترجمة ياقوت الحموي في((معجم الأدباء)) المسمى((إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب)) قال:((هو الحسن بن أحمد أبو محمد الأعرابي المعروف بالأسود الغندجاني اللغوي النسابة ...)) .

وقد ورد في النصوص التي يوردها اسم كتاب((التصحيف))فيترجم لصاحبه العسكري، وبعد أن فرغ من الترجمة قال[2]:((نقلته مختصراً من معجم الأدباء)).

والمحقق اليوم يذكر معلومات الترجمة ثم يجمع مظانّ الترجمة بعضها إلى بعض، ولعلَّ البغدادي ينهج منهجاً أدقّ إذ كان يعزو أي معلومة يستقيها إلى مصدرها فور فراغه من سَرْدها، فقد يعود إلى أكثر من كتاب، ومثال ذلك ترجمته للنمر بن تولب إذ قال[3]:((نسبه مذكور في الاستيعاب ...)) ثم قال:((وقال أبو حاتم السجستاني في كتاب المعمرين ...))، ويرد اسم عبد الله بن أبي إسحاق الحضرمي فيتصدى لترجمته فيقول[4]:((قال الواحدي في كتاب الأغراب ...)) ثم يقول:((وقال أبو بكر التاريخي في تاريخ النحاة ...)) ثم قال:((وقد حكى مثل حكاية التاريخي علي بن حمزة اللغوي في كتاب ((التنبيهات على أغلاط الرواة)) قال ...)).

وعُني البغدادي بالضبط الدقيق للعلَم الذي يترجم له، كما عُني بضبط كنيته ولقبه، وهذا أمر يَعُدُّه المحققون أمراً لازماً يأخذونه على عاتقهم، فقد ورد شعر للصلتان فيبحث في اسمه ويقول[5]:((والصلتان ويقول[5]:((والصلتان اسمه قُثَم بضم القاف وفتح المثلثة ابن خَبِيَّة بفتح الخاء المعجمة وكسر الموحدة وتشديد المثناة التحتية ، وأصلها الهمز وهو ...)). وفي ترجمة جرير يقول[6]:((ويكنى أبا حَزْرة بفتح المهملة وسكون المعجمة بابنٍ كان له ، والحزرة فعلة من حزرت الشيء إذا خرصته وخمَّنته ...)).

وإثبات سنة وفاة العلَم والتدقيق في ذلك، وتحقيق الخلاف في السنة يعدّ أمراً بدهياً من مستلزمات الترجمة، وله في تحقيق سنة الوفاة باعٌ طويل إن وَجَدَ ما يُعينه على هذا، ففي ترجمة الرضي الاستراباذي يذكر السيوطي أنَّ وفاته سنة أربع وثمانين أو ست وستمائة، ولا يوافق[7]البغدادي على هذا التاريخ، ومضى يذكر سبب ذلك، فالرضي تمّم شرح الكافية في سنة ست وثمانين وستمائة ويقول:((وعلى هذا لا يمكن أن يكون تاريخ وفاته ما ذكره السيوطي، فإنَّه عاش مدة يحرر شرحه، ولهذا تختلف نسخه اختلافاً كثيراً)) .

وقد يضطر لنقل تاريخ تقريبي عن الوفاة إن لم يظفر بما يحدّدها، ففي ترجمة أبي هلال العسكري[8] العسكري[8] ينقل قول ياقوت: ((وأمّا وفاته فلم يبلغني فيها شيء، غير أني وجدت في آخر كتاب((الأوائل))

---

[1] خزانة الأدب 44/1 .

[2] خزانة الأدب 202/1 .

[3] خزانة الأدب 322/1 .

[4] خزانة الأدب 237/1 .

[5] خزانة الأدب 181/2 .

[6] خزانة الأدب 76/1 .

[7] خزانة الأدب 29/1 .

[8] خزانة الأدب 231/1 .

كتاب((الأوائل)) من تصنيفه :وفرغنا من إملاء هذا الكتاب يوم الأربعاء لعشر خلت من شعبان سنة خمس وتسعين وثلاثمائة))

وقد لا يهتدي لترجمة العلم بعد طول بحث وعناء فينص على ذلك، فالشاعر الإسلامي كعب بن سعد الغنوي يقول فيه[1]:((وقد راجعت كتب الصحابة وكتاب الشعراء لابن قتيبة وكتاب الأغاني وغيرها فلم أجد ترجمته في إحداها، إلَّا ما قاله أبو عبيد في ((شرح أمالي القالي)) والظاهر أنه تابعي)). ويقول في ترجمة المخلب[2]:((وهذا الشاعر لم أقف على نسبه ولا على شيءٍ من أثره)). وقد يحاول أن يقدم شيئاً عن أعلامٍ لم يعرف شيئاً عنهم، عن طريق الاستئناس بمعلوماتٍ تتصل بهم كالعصر مثلاً، فالشاعر سنان بن فحل الطائي لم يظفر له بترجمة، ولكن ثمة أخباراً تَرِدُ بين هذا الشاعر وعبد الرحمن بن الضحاك الفهري، فيترجم للأخير ثم يقول[3]:((وإنما ذكرتُ عبد الرحمن هذا ليعلم منه عصر سنان ابن الفحل الطائي ، فإني لم أظفر له له بترجمة ولم أرَ ذكره في كتب الأنساب)) .

وقد تعرضه مشكلات في الترجمة فيقف أمامها ويبدي رأيه فيها ، ومن ذلك أنّ قوله:

لم يَمْنَعِ الشُّرْبَ منها غيرَ أن نطقتْ حمامةٌ في غصونٍ ذاتِ أوقالِ

نُسب لأبي قيس بن رفاعة الأنصاري فقال[4]:((لم يوجد في كتب الصحابة من يقال له أبو قيس بن بن رفاعة، وإنما الموجود قيس بن رفاعة، ثم نقل عن ابن حجر ترجمة لرجلين صحابيين بهذا الاسم، واحتمل ابن حجر أنَّهما رجل واحد، فقال البغدادي:((كيف يكون هو الذي قبله مع اختلاف النسبين؟ والظاهر أنهما اثنان)). وهكذا يصحح الاسم الأول عن طريق تراجم الصحابة، ويصحح أن الاسم ينطبق على عَلَمَيْن لا واحد عن طريق النسب .

وقد يشير إلى أنَّ هذا العلَم يشترك فيه أكثر من رجل، يقول مثلاً[5]:((ومَن لُقّب من الشعراء من بني طُهَيّة ذا الخِرَق ثلاثة : أحدهم: خليفة بن حمل، والثاني: ذو الخِرَق بن قرط، والثالث شمير بن عبد الله)).

وقد يختلف أصحاب التراجم في اسم العلم الذي يترجم له، فيشير إلى ذلك ويَعْزو كل قول إلى صاحبه، ففي ترجمة الأحوص[6]:((قال ابن السيرافي في شرحه لشواهد إصلاح المنطق: هو عبد بن عمرو بن الأحوص))،وقال في الصحاح:((عبد بن عمرو وهو ابن شُرَيْح بن الأحوص)) .

وصاحب ((الخزانة)) يملك الذهنية الناقدة لما يستقيه من معلومات تتصل بترجمة الأعلام الذين يترجم لهم، فهو إن وجد خللاً في هذه المعلومات نصّ على موطن ذاك الخلل، وذلك شأن المحقق ذي البصيرة

---

[1] خزانة الأدب 574/8 .

[2] خزانة الأدب 264/5 .

[3] خزانة الأدب 41/6 .

[4] خزانة الأدب 413/3 .

[5] خزانة الأدب 42/1 .

[6] خزانة الأدب 184/1 .

النافذة، فالتحقيق ليس نقلاً أصمَّ عن المصنفات، وإنَّما هو تهذيب وتثبيت وتصفية، ها هو يشير في ترجمة الشاعر سحيم[1]إلى ثلاثة من الشعراء يَتَسَمَّوْن بهذا الاسم وهم: سحيم بن وثيل، وسحيم بن الأعرف، وسحيم عبد بني الحسحاس الحبشي، ويذكر أن لَبْساً قد حصل للعيني فزعم أنَّ الأول هو الثالث، فقال: سحيم بن وثيل الرياحي كان عبداً حبشياً، وكان عبد بني الحسحاس، هذا فيما قاله الجوهري)) يقول البغدادي:((مع أنَّ الجوهري لم يذكر لفظ سحيم في صحاحه)).

وذكر عبد القادر[2]أنَّ شارح شواهد المغني قال:((في ((المؤتلف والمختلف))للآمدي أنَّ اسمه قرط، شاعر جاهلي، سُمّي بذلك لقوله : جاءت عِجافاً عليها الريشُ والخِرَقُ

فقال يردّ عليه:((وفيه ثلاثة أمور : الأول أن الآمدي لم يذكر هذا الشعر فكيف ينسبه إلى قرط؟ . الثاني : أنه لم يقيّد قرطاً بكونه جاهلياً . الثالث :أن هذا الشعر ليس لقرط، وإنما هو لخليفة بن حمل)) .وقال معلقاً على نصٍّ:((وأبو حنيفة الدينوري هو أحمد بن داود بن ونند, أخذ عن البصريين والكوفيين، وأكثر أخذه عن ابن السكيت، وكان نحوياً لغوياً مهندساً منجماً حاسباً راويةً ثقةً فيما يرويه و يحكيه، مات في جمادى الأولى سنة اثنين وثمانين ومائتين)) [3].

وقال:((والفرزدق هو فراس, واسمه هَمَّام بن غالب بن صعصعة .. وهَمَّام بصيغة المبالغة من الهمّة ... والفرزدق, قال صاحب العباب: قال الليث: الفرزدق الرغيف الذي يسقط في التنور ... وقال بعضهم: هو فتات الخبز .... وقال ابن فارس: هذه كلمة منحوتة من فرز ومن دقَّ, لأنَّه دقيق عجن ثم أفرزت منه قطعة, فهي من الإفراز والدقيق))[4].

ومن الظواهر البارزة في الخزانة ترجمة البغدادي قائل البيت الشاهد وجميع من سُمِّيَ باسمه مؤرخاً لمواليدهم ووفياتهم, واصلاً من خلال ذلك الى القول بصحة – أو عدم صحة – نسبة الشاهد إلى قائله, وتصحيح ما نسب من الشواهد إلى غير قائله مستعيناً بالتاريخ والوقائع والأحداث .

من ذلك قوله حول الشاهد (59) :

لَعَمْرُكَ ما مَعْنٌ بتارِكِ حَقِّهِ ولا مُنْسِئٌ مَعْنٌ ولا مُتَيَسِّرُ[5].

إذ قال[6]:((وقال شراح أبيات الكتاب: عنى بالبيت معن بن زائدة الشيباني, وهو أحد أجواد العرب وسمحائهم, فوصفه ظلماً بسوء الاقتضاء وأخذ الغريم على عُسرة وأنَّه لا ينسئه بدينه .. انتهى. وهذا غير صحيح, فإنَّ معن بن زائدة متأخر عن الفرزدق فإنَّه قد توفي الفرزدق في سنة عشر ومائة، وتوفي معن بن زائدة في سنة ثمان وخمسين ومائة)).

---

(1) خزانة الأدب 267/1 .

(2) خزانة الأدب 43/1 .

(3) خزانة الأدب 25/1.

(4) خزانة الأدب 105/1.

(5) خزانة الأدب376/1 .

(6)خزانة الأدب 1/ 377.

وهو ملم بتراجم الصحابة واسع الاطلاع في ذلك قال في شرح الشاهد (124) وقائله: عقيبة بن هبيرة الأسدي:((ولم أرَ لعقيبة هذا ذكراً في كتب الصحابة, ولم يذكره ابن حجر أيضاً في الإصابة من المخضرمين، والظاهر أنَّه من المخضرمين))[1].

هذا هو مجمل المنهج الذي سار عليه عبد القادر في تراجمه، وهو ـ كما رأينا ـ منهج علمي يعتمد على التفصيل الموثق الذي يثبت ويلاحظ، وإن كان في بعض الجوانب الشكلية يختلف عمَّا درج عليه المحققون في أيامنا هذه .

خامساً: تكميل الأبيات وتخريجها :

وكان عبد القادر يكمل البيت إن أورده الرضي ناقصاً، كما يصنع معشر المحققين اليوم، فيقول : صدر البيت ...، أو عجزه ... أو تمامه ....، من ذلك ما أنشده الرضي[2]:

ولا أرضَ أبقلَ إبقالَها

ذكر البغدادي صدره : فلا مُزْنَةٌ ودَقَتْ ودْقها

وأنشد الرضي[3] : يَنْباعُ من ذِفْرى غَضوبٍ جَسْرَةٍ ،

فذكر البغدادي عجزه : زيَّافةٍ مثل الفَنيقِ المكْدَمِ

وقد يرى أن يورد القصيدة التي ينتهي إليها الشاهد كاملة مشروحة أو غير مشروحة، وقد يكتفي بسرد الأبيات من أول القصيدة إلى الشاهد، فقصيدة المنتشر التي أورد الرضي منها[4]: أخو رغائبَ يعطيها يعطيها ويسألها يأبى الظُّلامة منه النَّوفلُ الزُّفَرُ

يقول فيها:((وينبغي أن نورد هذه القصيدة مشروحة لأمور، منها أنَّها نادرة قلما توجد، ومنها أنَّها جيدة في بابها، ومنها أنَّ كثيراً من أبياتها شواهد في كتب العلماء))وهذا يؤكد منهجية الرجل فهو لا يورد شيئاً إلَّا عن دراسة يقتنع بها ويرتضيها، مما جعله يختار بعض القصائد العربية التي((غالب أبياتها شواهد في كتب العربية)) [5]فيمنحها المزيد من البحث والتحقيق .ومن القصائد التي أوردها قصيدة الصلتان[6]: أنا الصَّلتان والذي قد علمتمُ متى ما يُحَكَّمْ فهو بالحكم صادعُ

وقصيدة عبد يغوث[7] :

ألا لا تلوماني كفى اللوم ما بيا فما لكما في اللوم خيرٌ ولا ليا

ومن القصائد التي سرد أبياتها من أولها إلى الشاهد قصيدة ذي الرمة[8]:

---

[1] ينظر: خزانة الأدب 2/ 262.

[2] خزانة الأدب 45/1 .

[3] خزانة الأدب 122/1.

[4] خزانة الأدب 185/1 .

[5] خزانة الأدب 451/2 .

[6] خزانة الأدب 176/2 .

[7] ا خزانة الأدب 197/2 .

[8] خزانة الأدب 342/2 .

ما بالُ عينك منها الماء ينسكبُ كأنه من كُلَىً مَفْرِيَّة سَرَبُ

وقد يكتفي بإيراد بعض القصيدة ، من مثل قصيدة الشماخ[1]:

وماءٍ قد وردتُ لوصلِ أروى عليه الطيرُ كالورقِ اللّجينِ

وقد لا يعرف للبيت قصيدة، وإنَّما يكون جزءاً من مقطوعة حماسية مثلاً فينص على أبياتها كقوله[2]:((وهذا البيت أول أبيات ثلاثة مذكورة في الحماسة لموسى بن جابر الحنفي))ويعني بالبيت :

لا أشتهي يا قومِ إلا كارهاً باب الأمير ولا دفاعَ الحاجبِ

وقد يكتفي صاحب ((الخزانة)) بالإشارة إلى قصيدة الشاهد إشارة دون أن يذكر شيئاً منها، غير أنَّه ينصّ على مظانها ،كقوله[3]:((وهذا البيت من قصيدة لجرير يهجو بها الفرزدق مطلعها :

أقلِّي اللومَ عاذلَ والعتابا وقولي إن أصبتُ لقد أصابا

ثم يشير إلى مسطورة في ((النقائض)) .

ويُعنى البغدادي بالنص على مناسبة القصيدة واستعراض الروايات التي نقلتها المظان الأصيلة في ذلك، ومن ذلك تعليقه على الشاهد[4] :

ألا ليت شعري هل يلومنَّ قومُه زهيراً عل ما جرَّ من كل جانبِ

فقال : ((وسببُ هذا الشعر ما رواه السكري قال :

((وأنشد : .... سماءُ الإلهِ فوقَ سبع سمائيا

وصدره : له ما رأت عينُ البصير وفوقه ... ...

وهذا البيت من قصيدة طويلة لأمية بن أبي الصلت)) [5] .

((وأنشد : هُمُ دَرَجُ السُّيول، هو قطعة من بيت, وهو:

أنَصْبٌ للمنية تعتريهم رجالى أم هُمُ دَرَجُ السُّيول

وهذا البيت لإبراهيم بن هرمة, يبكى به قومه لكثرة من فقد منهم)) [6].

خرَّج البغدادي بيت أنس بم مدركة الخثعمي :

عزمتُ على إقامةِ ذي صباحِ لأمرٍ ما يُسَوَّدُ مَن يَسُودُ

في كتاب سيبويه, وشرح الإيضاح لأبي البقاء, والخصائص لابن جنى, والتذكرة لأبي على الفارسي, وفرحة الأديب لأبي محمد الغندجاني, وشرح أبيات سيبويه لابن خلف, وجمهرة النسب لابن الكلبي [7].

سادساً: نسبة الأبيات المجهولة :

---

(1) خزانة الأدب 348/4 .

(2) خزانة الأدب 301/1 ، وينظر : خزانة الأدب 211/1 .

(3) خزانة الأدب 338/1 .

(4) خزانة الأدب 291/1 .

(5) خزانة الأدب 118/1.

(6) خزانة الأدب 203/1.

(7) خزانة الأدب 476/1.

قام عبد القادر البغدادي بنسبة الأبيات التي لم ينسبها الرضي إلى قائليها ،ومن الأمثلة على ذلك:((وأنشد :

يقول الخَنَى وأبغضُ العُجْم ناطقاً إلى ربنا صوتُ الحمارِ اليُجَدَّعُ

..... وهذا البيت ثانى أبيات سبعة أوردها أبو زيد في نوادره لذى الخرق الطهوي)) [1].

وقال عن البيت : ياما أميلح غِزلانًا شدَنَّ لنا من هؤليائكنَّ الضالِ والسُّمُرِ :

((وهذا البيت من جملة أبيات ذكرها ابن هشام في شرح شواهده ... وروى العباسي في معاهد التنصيص عن بعضهم أنَّه من أبيات لبعض الأعراب، وذكر في الدمية للباخرزي ,أنَّه أول أبيات ثلاثة لبدوي اسمه: كامل الثقفي ... وقال العيني إنَّه من قصيدة للعرجي . ومنها : باالله ياظَبَيَات القاعِ قلنَ لنا ليلايَ منكنَّ أم ليلى مِن البشرِ

وهذا البيت قد روي للمجنون, ولذى الرمة, وللحسين بن عبد الله، والله أعلم)) [2].

وعلق على الشاهد (73) : بَنُونا بَنُو أبنائنا وبناتنا بَنُوهُنَّ أبْناءُ الرجالِ الأباعِدِ.

قائلاً [3]:((وهذا البيت لا يعرف قائله مع شهرته في كتب النحاة وغيرهم، قال العيني: وهذا البيت استشهد به النحاة على جواز تقديم الخبر, والفرضيون على دخول أبناء الأبناء في الميراث وأنَّ الانتساب إلى الآباء, والفقهاء كذلك في الوصية، وأهل المعاني والبيان في التشبيه، ولم أرَ أحداً منهم عزاه إلى قائله. أ.هـ، ورأيت في شرح الكِرْمَاني في شرح شواهد شرح الكافية للخبيصي أنَّه قال: هذا البيت قائله أبو فراس هَمَّام الفرزدق بن غالب, ثم ترجمه، والله أعلم بحقيقة الحال)) . فوثق البغدادي هذا البيت لجميع من استشهد به لكثرة اطلاعه وسعة باعه.

ونحو من ذلك قوله حول الشاهد(130) :

إنِّي إذا ما حَدَثٌ ألَمَّا أقولُ : يا اللهمَّ يا اللهُمَّا.

إذ قال[4]:((هذا البيت من الأبيات المتداولة في كتب العربية, ولا يعرف قائله ولا بقيته، وزعم العيني أنَّه لأبي خراش الهذلي قال: وقبله: إنْ تَغْفِرِ اللهمَّ تَغْفِر جَمًّا وأيُّ عبدٍ لكَ ما ألَمَّا

وهذا خطأ، فإنَّ هذا البيت الذي زعم أنَّه قبله بيت مفرد لا قرين له وليس هو لأبي خراش الهذلي, وإنَّما هو لأمية بن أبي الصَّلْت, قاله عند موته, وقد أخذه أبو خراش وضمَّه إلى بيت آخر وكان يقولهما وهو يسعى بين الصفا والمروة وهما :

لاهُمَّ هذا خامِسٌ إنْ تَمَّا أتَمَّه الله وقد أتَمَّا

إنْ تَغْفِرِ اللهمَّ تَغْفِرْ جَمًّا وأيُّ عبدٍ لكَ مَا ألمّا)).

سابعاً: التنبيه على اختلاف الروايات :

---

[1] خزانة الأدب 15/1.

[2] خزانة الأدب46/1.

[3] خزانة الأدب1/ 445.

[4] خزانة الأدب 2/ 295.

أشار البغدادي إلى اختلاف الروايات في أنشاد البيت، ففي التعليق على قول ذي الخرق الطهوي :

أتاني كلامُ الثعلبيِّ بن دَيْسَقٍ ففي أي هذا ويلَه يتترَّعُ .

يقول البغدادي: ((قوله :أتاني كلام الثعلبي: هو بفتح المثلثة وسكون العين المهملة كما في نوادر أبي زيد, في نسخة قديمة صحيحة, نسبة إلى ثعلب بن يربوع أبي قبيلة لا بمثناة فوقيه فغين معجمة, نسبة إلى تغلب بن يربوع أبي قبيلة كما ضبطه بعضهم)) [1].

((وأنشد: لِيُبْكَ يزيدُ ضارعٌ لخصومةٍ ومُخْتَبِطٌ مِمَّا تُطيحُ الطَّوائِحُ

على أنَّ الفعل المسند إلى ضارع حذف جوازاً, أي: يبكيه ضارع، وهو على رواية :(لِيُبْكَ) بالبناء للمفعول, ويزيد نائب للفاعل, وأمَّا على روايته بالبناء للفاعل، ففاعله (ضارع) و(يزيد) مفعوله, ولا حذف ولا شاهد، وهذه الرواية هي الثابتة عند العسكري, وعدَّ الرواية الأولى غلطاً, فإنَّه قال في كتاب التصحيف فيما غلط فيه النحويون: ومِمَّا قلبوه وخالفهم الرواة قول الشاعر: لِيُبْك يزيد ضارع البيت، وقد رواه خالد(ابن كلثوم الكوفي) والأصمعي وغيرهما بالبناء للفاعل من البكاء ونصب يزيد. ومثله في كتاب: فعلت وأفعلت لأبي حاتم السجستاني, قال: أنشد الأصمعي: لِيُبْك يزيد ضارع, أي: بالبناء للفاعل, ولم يعرف: لِيُبْك يزيد ضارع, أي بالبناء للمفعول, وقال: هذا من عمل النحويين)) [2].

بل إنَّه يستدرك على أكابر العلماء ممن شافهوا العرب ونقلوا عنهم ويصحح رواياتهم، ففي شرح الشاهد (94) :

إذا شُقَّ بُرْدٌ شُقَّ بالبُرْدِ مثلُهُ دَوالَيكَ حتى كلُّنَا غيرُ لابِسِ.

قال البغدادي[3]:((وروى العيني (ليس للبرد لابس) كصاحب الصحاح, وهو غير صحيح, فإنَّ القوافي مجرورة . وأثبت صاحب الصحاح (هذا ذيك) موضع (دواليك) والصواب ما ذكرناه .وأنشده سيبويه أيضاً كصاحب الصحاح فيكون فيه أقواء)) .

فمن ناحية تصحيح الرواية وما يترتب عليها من معنى قال في شرح أبيات الشاهد الأول – والبيت المشروح هو قوله :

فيستخرِجَ اليربوع مِنْ نافِقائِهِ ومِنْ جُحْرِهِ بالشِّيحَةِ اليتقَصَّعُ [4].

((قوله (بالشيحة) رواه أبو عمرو الزاهد وغيره تبعاً لابن الأعرابي (ذي الشيحة) وقال: لكل يربوع شيحة عند جحره. وردَّ الأسود أبو محمد العُنُدُجاني على ابن الأعرابي، وقال: ما أكثر ما يصحف في أبيات المتقدمين ,وذلك أنَّه توهم أنَّ ذا الشيحة موضع ينبت الشيح وانَّما الصحيح "ومن جحره بالشيخة" بالخاء المعجمة وقال: هي رملة بيضاء في بلاد بني أسد وحنظلة . وكذا رواه الجرمي أيضاً))[5].

---

[1] خزانة الأدب16/1.

[2] خزانة الأدب147/1.

[3] خزانة الأدب100/2.

[4] من ابيات ذي الخرق الطهوي , ينظر: خزانة الأدب34/1.

[5] خزانة الأدب40/1.

وقال حول الشاهد (22) : ولم يَسْتَرِيثُوكَ حتى رميـ ـتَ فوقَ الرجالِ خِصالاً عِشاراً.

: ((روى الحريري في الدرة (نصالاً) بدل خصالاً ،والأول هو الصحيح)) [1].

ثامنا: ضبط النص والعناية بلغته:

ضبط النص مهمة رئيسة يضطلع بها المحقق الثبت، وتُعَدّ من المظاهر الضرورية لخدمة النص، فإذا كان هذا النص المحقق يعالج قضايا في اللغة وعلوم العربية فإنّ التأكيد على ضبطه يصبح أمراً بدهياً.

والبغدادي في خدمته لشرح الكافية ينطلق من هذا المنطلق، فكان يُعنى بضبط الشواهد وما يتصل بها عناية شديدة، وهذا يعطينا دليلاً جديداً على أنَّ الرجل يستوعب مهمته ويدرك أبعادها ولوازمها، ومن أمثلة ذلك خدمته للشاهد الخامس والأربعين[2]:

لِيُبْكَ يزيدُ ضارعٌ لخصومةٍ ومُخْتَبِطٌ مما تُطيح الطوائحُ

فمن أقواله:((الضارعُ : الذليل، من قولهم: ضَرَع ضَراعة ، فِعْلُه من الباب الثالث، وورد في لغةٍ أيضاً من باب تَعِب، ويقال أيضاً: ضَرُع ضَرَعاً كشرُف شَرَفاً بمعنى ضَعُف فهو ضَرِع أيضاً ...)). وكقوله[3] وهو يشرح قول الشاعر :

لطيفة طيِّ الكشح غير مُفاضةٍ إذا انْفتلتْ مُرْتَجَّةً غيرَ مِتْفالِ

((والمِتفال بالكسر من تفل بالمثناة الفوقية والفاء، قال في العباب: التَّفَل بالتحريك: مصدر قولك تَفِلَ الرجل بالكسر إذا ترك الطيب فهو تَفِل، وامرأة تَفِلة، وفي الحديث:((وليخرجن إذا خَرَجْن تَفِلات))،أي: تاركات للطيب، وامرأة مِتْفال إذا كانت كذلك وأتْفله غيره ...)) .

وكان البغدادي كثيراً ما يعمد إلى النص على الحركة خشية أن يمر عمله بناسخ جاهل فيعبث بهذا الضبط، فيأتي تقييد الحركة بالنص من قبيل الحيطة وذلك مثل قوله[4]:((والبُداهة بضم الموحدة أول جَرْي الفرس والجِراء بكسر الجيم مصدر جاراه مجاراة وجراءً أي: جرى معه والشقّ بالكسر المشقة، والحَطِم بفتح الحاء وكسر الطاء المهملتين: الفرس الهرم، ويقال :حَطِمت الدابة بالكسر إذا أسَنَّتْ، وحَطَمته السنُّ بالفتح حَطماً)) .

واهتمام صاحب ((الخزانة)) بالضبط لا يقف عند حدود الألفاظ اللغوية التي يعالجها، وإنما نجده يُعنى بضبط الأعلام التي ترد في نصوصه، فقد تحدث عن الكميت فقال[5]:((والكميت مشتق من الكُمْتة يقال للذكر والأنثى، ولا يستعمل إلَّا مُصغراً وهو تصغير أكمت على غير قياس والاسم الكمتة)).

---

[1] خزانة الأدب 1/ 171.

[2] خزانة الأدب 303/1 .

[3] خزانة الأدب 67/1 .

[4] خزانة الأدب 262/1 .

[5] خزانة الأدب 147/1 .

وقوله[1]:((الثَّعْلبي: بفتح المثلثة وسكون العين المهملة كما في نوادر أبي زيد في نسخة قديمة صحيحة، لا بمثناة فوقية فغين معجمة نسبةً إلى تغلب بن وائل ...)) .

ويشعر المحقق عادة بضرورة النص على مصدره في ضبط اللفظ، وذلك شأن البغدادي في كثير من جهوده في الضبط اللغوي، كقوله[2]((وفي المحكم لابن سيده :العُرُف بضمتين موضع وقيل: جبل، وكذا ضبطه أبو عبيد البكري في ((معجم ما استعجم)) وقال:((هو ماء لبني أسد)) وقال:((ويخفف بسكون الراء)) وكقوله[3] ـ وهو يشير إلى الشاعر شمير ابن الحارث:((وشُمَيْر بضم الشين المعجمة وفتح الميم وآخره راء مهملة وهكذا ضبطه أبو زيد، وقال الاخفش فيما كتبه عليه: الذي في حفظي سُمير بالسين المهملة، وكذا ضبطه الصاغاني في ((العباب)) بالمهملة)).

كان البغدادي يتعامل مع نصوص تحتاج إلى خدمة لغوية واسعة، ومن أوجه هذه الخدمة الغريب، فالغريب وارد في الشواهد الشعرية التي يعالجها، فكان يشرح كل لفظة تحتاج إلى شرح شرحاً لغوياً، يقدر التفصيل في مقداره حسب ما يحتاج إليه المقام، ومن أمثلة ذلك قوله[4] في شرح قول الشاعر :

لياليَ سلمى إذ تُرِيْك منصَّباً وجِيْداً كجيد الرِّيم ليس بمعطالِ

((ومنصّباً: قال العسكري:((من رواه بالنون أراد ثغرها، والمنصَّب :المستوي من الأرض المتَّسق، ومن روى((مُقصَّباً)) بالقاف أراد شعرها، قصَّبته :جعلته ذوائبَ، وشعر مقصّب أي قُصَّابة قُصَّابة)) وفي الصحاح:((الذوائب المقصّبة تلوى ليّاً حتى تترجَّل ولا تُضفر ، واحدتها قصيبة وقصّابة بالضم والتشديد)) والمِعْطال: المرأة التي خلا جيدها من القلائد، والفعل من باب قتل، وعطلاً بالتحريك وعُطولاً بالضم)) ،والأمثلة منتشرة فائضة .

وعُني البغدادي بذكر تحقيقات لغوية في الفروق، فكان ينقل نصوصاً من المظانّ الأصيلة في هذا الجانب كقوله[5]: ((قال ابن قتيبة في((أدب الكاتب)):((الفرق بين الآل والسراب: أن الآل يكون أول النهار النهار وآخره، وسُمّي آلاً لأنَّ الشخص هو الآل، فلما رفع الشخص قيل: هذا آل قد بدا وتبيّن، أمَّا السراب فهو الذي تراه نصف النهار كأنه ماء)) وردّ عليه ابن السِّيد في شرحه فقال:((إنكارُ أن يكون الآل هو السراب من أعجب شيء يسمع به)) .

وقد يقتبس البغدادي بعض النصوص اللغوية التي سجّلها مَن سبقه حول شاهد معين، والغرض من هذا توثيق هذه الخدمة اللغوية التي يحكمها ويسعى في بنائها، كقوله[6] : ـ وهو يعالج قول الشاعر ـ :

يسقون مَن وَرَدَ البَرِيْصَ عليهمُ بردى يُصَفَّق بالرحيق السَلْسَلِ

---

[1] خزانة الأدب 35/1 ، وانظر 39/1 .

[2] خزانة الأدب 269/3 .

[3] خزانة الأدب 182/5 .

[4] خزانة الأدب 64/1 .

[5] خزانة الأدب 83/1 .

[6] خزانة الأدب 383/4 .

((قال ابن الحاجب في أماليه: يجوز أن يكون المراد مدح ماء بردى وتفضيله على غيره، ومعنى يُصَفَّق يُمْزَج، يقال صَفَّقْتُه إذا مزجته والرحيق : الخمر، والسلسل :السهل أي: كأنه ممزوج بذلك)) . انتهى .

ونقل البغدادي[1]عن ابن قتيبة في ((أبيات المعاني))قوله:((طلّاع الثنايا،أي: يطلع على الثنايا، وهي ما علا من الأرض وغلظ، ومثله قولهم: طلّاع أنْجُد)).ومن أوجه الخدمة اللغوية أنه قد يذكر المعاني المختلفة للكلمة الواحدة كقوله[2]:((والهلاك على أربعة أوجه، أحدها: افتقاد الشيء عنك وهو موجود عند غيرك، ومنه:﴿هلك عني سلطانيه﴾[3]والثاني: هلاك الشيء باستحالة وفساد كقوله تعالى﴿ويُهْلِك الحرث والنسل﴾[4]،والثالث :الموت نحو:﴿إن امرؤٌ هَلَكَ﴾[5]،والرابع الشيء من العالم وعدمه رأساً،وذلك هو المسمى فناء،كقوله تعالى:﴿كلُّ شيءٍ هالكٌ إلا وجهه﴾[6]وقد يطلق الهلاك على العذاب والخوف والفقر ونحوها لأنها أسبابه)).

وقد يُعنى بالاستدراك على أصحاب المصنفات اللغوية في جانب معين من جوانب اللغة ،فقد أشار[7]إلى لفظة ((الهيجاء))وقال: إنها تمدُّ وتُقْصَر ثم قال:((وهذه الكلمة مع شهرتها لم يوردها القالي في((المقصور والممدود))مع أنَّه استقصى النوعين في كتابه)) .

وقد يورد اللغات المختلفة للفظ على سبيل الاستقصاء التام مما يدلّ على باعٍ عريض وقدم راسخة في هذا الجانب، ومثال ذلك أنه عَدّد اللغات المعروفة لقولهم: أتيته من عَلٍ، وأوصلها إلى عشر لغات[8]، ورفدها ورفدها بشواهدها المناسبة .

ولو أننا عرضنا جهود البغدادي على فن تحقيق النصوص في وقتنا لوجدنا أهله ينهجون هذا النهج ويسيرون في هذا المسار ما عدا بعض الأوجه الشكلية التي هي من معطيات العصر أو أنَّها مِمَّا تعارف عليه القوم، أمَّا مضمون العمل وجوهره فواحد[9].

النتائج

أمّا النتائج التي توصل إليها البحث فيمكن ذكرها على النحو الآتي:

1ـ عني المتقدمون من علماء العربية الأوائل بالتحقيق والتدقيق، وعرفوا بالضبط والإفادة ،حتى تهيأ لهم منهج قويم، قائم على أسس متينة، بل إنَّه يعد أدق منهج يحتذيه قلة من المحققين المعاصرين.

---

[1] خزانة الأدب 260/1 .

[2] خزانة الأدب 316/1 .

[3] الآية 29 من سورة الحاقة .

[4] الآية 205 من سورة البقرة .

[5] الآية 176 من سورة النساء .

[6] الآية 88 من سورة القصص .

[7] خزانة الأدب 584/7 .

[8] خزانة الأدب 396/2 .

[9] ينظر: منهج البغدادي في تحقيق النصوص اللغوية/71ـ 72.

2ـ يعد عبد القادر البغدادي من خيرة من خدموا لغة القران الكريم وخلّفوا لنا غاليا من التراث النفيس ،وإنَّ مؤلَّفَه "خزانة الأدب" مصدر بالغ الأهمية في علم النحو ،واللغة، والأدب، وفي حفظ أخبار العرب.

3ـ يعد كتاب((خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب)) سفر كبير بالغ الأهمية في علم النحو, واللغة, والأدب, والرواية عن العرب, وحفظ لغاتهم وأيامهم وأشعارهم وقبائلهم، وهو الكتاب الذي رفع ذكر البغدادي عند الأدباء والرواة والشعراء والنحويين، ويعد أعلى موسوعة في علوم العربية وآدابها، وليس هذا مبالغة فقد شحنه بالنصوص النادرة، وحفظ لنا به بقايا من كُتُبٍ قد فقدت أو اندثرت مع تمام العناية بالنقد والتحقيق لكل ما يورده من ذلك .

4ـ إنَّ قدرة البغدادي على جمع المباحث من مصنفات متفرقة ،أُلِّفت في أزمان متفاوتة ،جعلته محققاً بارعاً يحسن الرد على من جانبه الصواب من شرَّاح الشواهد وغيرهم.

5ـ اعتنى البغدادي بترجمة الأعلام الذين ورد ذكرهم في نص الرضي والنصوص الأخرى التي كان ينقلها

6ـ أولى البغدادي الأبيات الشعرية عناية فائقة ،فهو يكمل أبيات الشعر ويخرجها ،وينسب الأبيات المجهولة ،ويشير إلى اختلاف الروايات في البيت الواحد.

7ـ ظهر لنا من خلال البحث أنَّ عبدالقادر البغدادي في تحقيق النصوص لا يُبَارى, فهو يقابل بين النسخ ويجتهد في تخريج النص, ويترجم للعلماء والشعراء تراجم وافية ويكمل أبيات الشعر ويخرجها, وينسب الابيات المجهولة, ويشير إلى اختلاف الروايات في البيت الواحد, وغير ذلك مِمَّا ينادى به علماء هذا الفن في العصر الحديث .

قائمة المصادر والمراجع

1ـ الأعلام: لخير الدين الزركلي، ط17، دار العلم للملايين، آب ،أغسطس، 2007م.

2ـ إقليد الخزانة: لعبد العزيز الميمني، طبع من قبل جامعة بنجاب ـ لاهور، باكستان،1927م.

3ـ البغدادي حياته ودراساته النحوية في خزانة الأدب: سليمان بن عبد الرحمن العبيد، ط1، من إصدارات نادي القصيم الأدبي ـ بريدة ،السعودية ،1421هـ.

4ـ حاشية البغدادي على شرح بانت سعاد لابن هشام الأنصاري: لعبد القادر بن عمر البغدادي ت(1093هـ)، تحقيق: نظيف محرم خواجة،ط1، دار صادر، بيروت ـ لبنان،1410هـ ـ1990م.

5ـ خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب: لعبد القادر بن عمر البغدادي ت(1093هـ)، تحقيق: الأستاذ عبدالسلام هارون، ط4، مكتبة الخانجي، القاهرة ـ مصر،1418هـ ـ1997م.

6ـ خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر: لمحمد أمين بن فضل الله بن محب الدين الحموي ت(1111هـ)، دار صادر ،بيروت ـ لبنان.

7ـ سر صناعة الإعراب: لأبي الفتح عثمان بن جني ت(392هـ)، تحقيق: د. حسن هنداوي،ط1، دار القلم، دمشق ـ سوريا،1405هـ.

8ـ شرح الكافية في النحو: للرضي الاسترآبادي ت(686هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان.

9ـ مجلة الزهراء، مجلة علمية أدبية تصدر في القاهرة، المجلد الخامس.

مجلة آداب جامعة بابل العدد 16 لسنة 2014

10ـ معجم المؤلفين: عمر رضا كحالة ،دار التراث، بيروت ـ لبنان .
11ـ منهج البغدادي في تحقيق النصوص اللغوية من خلال خزانة الأدب: د. أحمد محمد الخراط، ط1، دار القلم ،دمشق ـسوريا،1408هـ ـ 1987م.
12ـ هدية العارفين: لإسماعيل باشا البغدادي، طبعة إستانبول.

.....